من داخل السجن ٢٠

أضاءات فكرية

مجموعة مقالات فكرية كتُبت من داخل السجن

بقلم

الأستاذ عبدالوهاب حسين

دار الوفاء للثقافة والإعلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

مقدمة الناشر ٧

مقدمة المؤلف ٨

مصادر المعرفة وتكامل الإنسان ٩

بيان المفردات ٩

كلمة المصادر ٩

كلمة المعرفة ١٠

كلمة الكمال ١٥

كلمة الإنسان ١٧

كلمة الفؤاد ٢١

كلمة الشكر ٢٢

المعنى الإجمالي والمضامين العامة للآية ٢٣

نتائج مهمة ٢٧

بحث حول الروح ٣٧

تعريف الروح ٣٧

أولاً - الروح في اللغة ٣٧

ثانياً - الروح في الفلسفة ٣٨

ثالثاً - الروح في القرآن الكريم ٤٣

علاقة الروح بالجسد وآثارها ٤٦

اللذات الحسية والروحية في الآخرة ٥١

بيان المفردات ٥١

المعنى الإجمالي والمضامين العامة للآية ٦٣

اللذات الحسية والروحية في الآخرة ٦٧

الإيمان بالتقليد والإيمان الواعي ٧٣
بيان المفردات ٧٣
الإيمان بالتقليد والإيمان الواعي ٧٧
الإيمان الواعي حقيقة ٨٠
نتائج مهمة ٨٢
عزم الأمور ٨٧
بيان المفردات ٨٧
المعنى الإجمالي والمضامين العامة للآية ٩٣
حق الأفراد والمجتمع في العفو..... ٩٤
الحالات التي يصح فيها التسامح عن الظلم الاجتماعي ٩٦
نتائج مهمة ٩٧
النفاذ في الأمور ١٠١
بيان المفردات ١٠١
النفاذ في الأمور ١٠١
نتائج مهمة ١٠٢
العوائق التي تمنع النفاذ في الأمور..... ١٠٣
وقفة مع دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام ١٠٤
سنة الاستبدال ١٠٧
بيان المفردات ١٠٧
المعنى الإجمالي والمضامين العامة للآيات ١١٥
نتائج مهمة ١٢٢
حقائق قرآنية ثابتة ١٢٤

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

أفضل الصلاة والسلام على محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين واللعن الدائم المؤبد على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

من الثوابت المهمة للشخصية الرسالية هي القوة العقائدية والفكرية، إذ هي التي تعتبر كالحصن أمام التيارات المنحرفة والالتقاطية، فالفكر يعتبر عمود خمية الشخصية الرسالية في تحركاته وسلوكه.

قام أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين مفجر ثورة الرابع عشر من فبراير ٢٠١١ من داخل سجنه بالتركيز على بعض العناوين المهمة للشخصية الرسالية، وتقديمها للشعب البحريني العزيز، وذلك لمعرفة بعض جوانب المعركة بين الحق والباطل، والعناوين هي كالتالي:

مصادر المعرفة وتكامل الإنسان، بحث حول الروح، اللذات الحسية والروحية في الآخرة، الإيمان بالتقليد والإيمان الواعي، عزم الأمور، النفاذ في الأمور، سنة الاستبدال.

ويعتبر هذا الكتاب هو الكتاب السادس للأستاذ عبدالوهاب حسين من داخل سجنه، حيث يسرّ دار الوفاء للثقافة والإعلام إصدار هذا الكتاب ضمن سلسلة من داخل السجن، وقد جعلنا على عاتقنا نشر آثار المعتقلين فرج الله عنهم وأعادهم الله إلى أهليهم سالمين غانمين.

والحمدلله رب العالمين

دار الوفاء للثقافة والإعلام

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمدﷺ وأهل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين.

هذه المقالات كُتبت في أوقات متفرقة ومتباعدة وعلى غير انتظام، وفي حالات مختلفة، فبعضها كُتب بمناسبة خاطرة أو سؤال أو قراءة أو سماع موضوع ونحو ذلك، وبعضها كُتب في حالة شعوري بالوهن بسبب المرض، فلا تكون لي الطاقة على البحوث الطويلة، ولا طاقة لي على الفراغ، أو حين أشعر بالوهن بسبب المرض، ويطول بي الانقطاع عن القراءة والكتابة لأيام عديدة، فإذا شعرت بالتعافي - ولا طاقة لي على البحوث الطويلة ولا على الفراغ - فإني ألجأ إلى كتابة هذه المواضيع أو المقالات القصيرة لقطع التعطل والخروج من الفراغ .. فلا وحدة بينها في الموضوع، ولا رابطة إلا رابطة الحب والإخلاص، وقد رأيت بحسب تقديري أن فيها فائدة، فكنت أجمعها، إلا أني تركت مراجعتها وترتيبها للمحبين الأعزاء.[1]

عبدالوهاب حسين

البحرين - سجن جو

---

١ . ملاحظة: قد كَتَبَ الأستاذ المجاهد عبدالوهاب حسين عدة مواضيع ووضعها في كتاب واحد؛ فقام دار الوفاء بفصل المواضيع عن بعضها البعض لطباعتها منفصلة، وكتاب إضاءات فكرية هو الكتاب الخامس من المواضيع التي كتبها الأستاذ المجاهد من داخل السجن، إذ تم نشر المواضيع التالية: الإسلام والعلمانية، رسول الرحمة، الإسلام دين الفطرة، معرفة النفس طريق لمعرفة الرب

مصادر المعرفة وتكامل الإنسان

قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1]

بيان المفردات

كلمة المصادر

المصادر: موضع الصدور، والجمع: مصادر. أصله صدر، أي: رجع.

وأصدره: أرجعه. والصادر: الراجع. والإصدار: الإرجاع.

والمصدر عند النحويين: اللفظ الذي روعي فيه صدور الفعل الماضي والمستقبل عنه؛ لأن المصادر هي أصل المشتقات.

ومصادر الكتاب: الكتب التي رجع إليها المؤلف في تأليف الكتاب.

---

١. النحل: ٧٨

ومصادر المعرفة في الفلسفة: ما يرجع إليه في تحصيل المعرفة بأنواعها، مثل: الحس والتجربة، العقل والاستدلال، الوحي والإلهام، المجاهدة الروحية (الشهود القلبي) وغيرها.

كلمة المعرفة

المعرفة: إدراك الشيء بالحواس الخمس أو غيرها، وقيل عن الفرق بين المعرفة والعلم: المعرفة إدراك الجزئي والعلم إدراك الكلي، والمعرفة تستعمل في التصورات والعلم في التصديقات، والمعرفة بتفكر وتدبر لأثر الشيء والعلم للشيء بذاته، ومن شروطه: الإحاطة بالمعلوم إحاطة تامة، وعليه يُقال: يعرف الله. ويُقال: يعلم الله؛ لأن الله سبحانه وتعالى يعرف بتدبر آثاره دون إدراك ذاته. ويُقال: الله يعلم، ولا يُقال: الله يعرف؛ لأن المعرفة تستعمل في العلم القاصر المتوصل إليه بتفكر وتدبر.

إذن المعرفة أخص من العلم، فكل معرفة علم، وليس كل علم معرفة. إلا أن هناك من الفلاسفة من يطلق المعرفة على الفعل العقلي الذي يتم به النفوذ إلى جوهر الموضوع لفهم حقيقته الموضوعية كما هي، بحيث تحصل المعرفة الكاملة المطابقة للشيء، الخالية من كل غموض والتباس.

وعليه قيل: للمعرفة درجات ومراتب، أدناها المعرفة الحسية الجزئية المنفردة، وأعلاها المعرفة العقلية المجردة الكلية، وللمعرفة الكاملة صورتان:

أ. **ذاتية:** هي التي يتم بها تصور الشيء تصوراً واضحاً دون غموض

أو التباس.

ب.موضوعية: هي التي يكون فيها تصور الشيء مطابقاً لما هو عليه في الحقيقة والواقع.

ويقابل المعرفة: الإنكار والجهل.

وعرفه الأمر: أعلمه إيّاه.

ومما سبق نعلم أن المعرفة تطلق على معنيين أساسيين:

أ. الفعل العقلي الذي يدرك الظواهر ذات الصفة الموضوعية.

ب.نتيجة ذلك الفعل العقلي، أي: حصول صورة الشيء في الذهن.

ونظرية المعرفة: تعني البحث في طبيعة المعرفة وأصلها (مصادرها) وقيمتها ووسائلها ومناهجها وحدودها، وتمييز بعضها عن بعض، والفحص عن صحتها وفسادها (البحث عن التشابه بين التصور الذهني وبين الشيء الخارجي لمعرفة حقيقة المطابقة بينهما) والبحث في طبيعة الذات المدركة لمعرفة الأثر الذي تتركه هذه الذات في تصور الشيء الخارجي، والبحث في المشكلات الفلسفية الناشئة عن العلاقة بين الذات المدرِكة (العارف) والموضوع المدرك (المعروف) ونحو ذلك.

والمعارف: الملامح والوجوه، وجمع المعرفة. وفلان من المعارف: من القريبين والمعروفين. ومعارف الأرض: ما عرف منها.

والعرفان: العلم بأسرار الحقائق الدينية، وهو أخص وأرقى من العلم الذي يحصل لعامة المؤمنين أو لأهل الظاهر من علماء الدين والشريعة.

والعارف: الذي تحصل منه المعرفة، والمختص بمعرفة الله ذي الجلال والإكرام سبحانه وتعالى، ومعرفة ملكوته وصفاته وأسمائه وأفعاله، وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «العارف شخصه مع الخلق وقلبه مع الله تعالى، ولو سها قلبه عن الله تعالى طرفة عين، لمات شوقاً إليه»[1]، وقيل: معرفة الله سبحانه وتعالى على درجات ومراتب، وهي:

أ. معرفة أهل النظر والاستدلال الذين حكموا بالبراهين القاطعة على وجود الله سبحانه وتعالى وصفاته.

ب. معرفة المؤمنين المخلصين الذين اطمأنت قلوبهم بالله سبحانه وتعالى عن طريق الفطرة من غير اكتساب، وتيقنوا أن الله سبحانه وتعالى نور السماوات والأرض كما وصف نفسه، قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[2] فانقطعوا إليه واستغنوا به عن غيره.

ج. معرفة أهل المجاهدة الروحية والشهود القلبي والفناء في الله ذي الجلال والإكرام والبقاء به، وهي الدرجة العليا والمرتبة القصوى.

وعرف فلان: صار مختصاً.

والعرفاني: المنسوب إلى العرفان، والذي لا يقنع بظاهر الحقيقة الدينية، بل يغوص ويتعمق ليعرف أسرارها وباطنها.

والعرفانية: القول بأن العقل البشري قادر على معرفة أسرار وبواطن

١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، جزء ٣، صفحة ١٤

٢. النور: ٣٥

الحقائق الإلهية والدينية، وأن الحقيقة واحدة وإن اختلف تعليمها، وأن الموجودات فاضت عن الواحد، ولها درجات مختلفة، أعلاها العقول المفارقة، وأدناها المادة، وأن لا خلاص للنفس إلا بالمعرفة (الحكمة) والإيمان والأعمال، ويجاهد نفسه ويصفيها ويعمل الصالحات ويتعمق؛ ليعرف أسرار الحقائق الدينية وبواطنها، وقيل: كل من يعتقد بأنه يستطيع تفسير حقائق الوجود تفسيراً عقلانياً فهو عرفاني.

والمعروف: الموضوع المدرك، وكل فعل يعرف بالعقل أو الشرع حسنه، وقيل: المعروف اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله سبحانه وتعالى والتقرب إليه والإحسان إلى الناس، ويطلق على الاقتصاد في المعيشة، والصنيعة يسديها المرء إلى غيره، والإحسان والقرض والصدقة، ويقابله: المنكر، وهو كل فعل يعرف بالعقل أو الشرع قبحه، وما خرج من طاعة الله سبحانه وتعالى.

وصنائع المعروف: أعمال الخير والرفق والإحسان.

والعارفة: مؤنث العارف، والخير.

والعرف: ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول وتلقته الطبائع بالقبول وتعارف عليه الناس واعتادوه في حياتهم ومعاملاتهم، وقيل عن الفرق بين العرف والعادة: العرف في الأقوال والعادة في الأفعال، العرف خارجي والعادة داخلية وخارجية معاً.

والحكم العرفي: ما لا يُجرى على قواعد القانون العام مراعاةً لمقتضيات الأمن.

والعرّاف: المنجم والكاهن، وقيل: العراف هو الذي يخبر بالأحوال المستقبلية، ويقابله الكاهن: وهو الذي يخبر عن الأحوال الماضية، وقيل: الماضية والمستقبلية معاً.

والعرافة: حرفة العراف.

والعريف: العالم بالشيء، والذي يعرف الناس ويتعرف الغير منه على أحوالهم، والقائم بأمور القوم وسيدهم، والجمع: العرفاء.

وعرُف فلان: صار عريفاً، ودبّر أمر القوم وقام بسياستهم.

وعرفه عليهم: أقامه ليعرف أحوالهم ومن فيهم صالح ومن طالح.

ويوم عرفة: يوم الوقوف بمنطقة عرفة على بعد اثني عشر ميلاً من مكة المكرمة في التاسع من ذي الحجة من مناسك الحج، وقيل: سميت المنطقة عرفة؛ لوقوع المعرفة فيها بين أبينا آدم وبين أمنا حواء عليهما السلام وقيل: لتعرف العباد إلى الله سبحانه وتعالى فيها بالطاعة والأدعية والعبادات، وقيل: لاستحباب اعتراف المؤمن الحاج فيها بذنوبه وتقصيره بين يدي الله جل جلاله.

والتعريف: تحديد الشيء بذكر خواصه المميزة، والإعلام بالشيء، وذكر شيء تستلزم معرفته معرفة شيء آخر، والوقوف بعرفة، وينقسم التعريف في الفلسفة إلى قسمين:

أ. **التعريف الحقيقي:** هو الذي يقصد به تحصيل ما ليس بحاصل من التصورات.

ب. **التعريف اللفظي:** وهو الذي يقصد به الإشارة إلى تصور حاصل في الذهن.

والتعرف: تطلب الشيء حتى تعرفه.

وتعرف إلى فلان: جعله يعرفه.

والتعرف في الفلسفة: الفعل الذهني الذي يقوم على إدراج أحد الأشياء في أحد التصورات.

واستعرف فلان: عرفه من يكون أو من هو.

والتعريفة: قائمة تحدد أثمان السلع وأجور العمال ورسوم النقل ونحوه.

والأعراف: سور بين الجنة والنار.

والاعتراف: الإقرار. ويقابله: الجحود.

كلمة الكمال

الكمال: ما يتم به وجود الشيء وتتحقق به طبيعته، وقيل: الكمال حصول الشيء على ما فيه الغرض منه، والتمام حصول الشيء على جميع أجزائه على نحو مناسب.

وكمل الشيء: ثبتت فيه صفات الكمال اللائق به، وعليه: فالكمال على درجات ومراتب، يقول ابن سينا: «النفس النباتية: كمال أول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يتولد ويربو ويغتذى، والنفس الحيوانية: كمال

أول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يدرك الجزئيات ويتحرك بالإرادة، والنفس الإنسانية (الناطقة): كمال أول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يفعل الأفعال الكائنة بالاختيار الفكري والاستنباط بالرأي، ومن جهة ما يدرك الأمور الكلية»[1].

وأكملت لكم دينكم: أتيت لكم بجميع المعارف الحقة والأحكام التي تحتاجونها في أمر دينكم ودنياكم وآخرتكم، بتنزيلي ما أنزلت وتبياني ما بينت لكم، بحيث وصل الدين إلى منتهى وأقصى ما يحصل به الغرض منه، وهو صلاحكم وصلاح أحوالكم في الدارين الدنيا والآخرة، ويكون كافياً لكم في عقيدتكم وأخلاقكم وعباداتكم ومعاملاتكم في الأحوال الشخصية والعامة في جميع العصور بحسب ما تدعو إليه فطرتكم وحاجاتكم الطبيعية والاجتماعية كلها، فلا دين فوقه ولا أشرف منه، ولا نقص فيه من أي جهة أو جانب. وقد نزلت الآية الشريفة المباركة بعد حجة الوداع في منطقة غدير خم، بتاريخ ١٨/ذي الحجة/١٠هـ، بعد أن نصَّب الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله علياً للولاية والخلافة بعده، فيكون إكمال الدين وإتمام النعمة بالولاية ولا يكونا بدونها، وكان ذلك التنصيب آخر فريضة أنزلها الله عز وجل على رسوله الكريم صلى الله عليه وآله.

والكامل: الموجود الحاصل بالفعل؛ لأن الخروج من القوة إلى الفعل كمال، والذي حصل له جميع ما ينبغي أن يكون حاصلاً له بالقياس إلى نوعه، بحيث لا يفوقه في ذلك غيره، ولا يوجد ما هو أشرف منه، ويقابله: الناقص.

---

١. النجاة، ابن سينا، صفحة ٢٥٨

والإنسان الكامل: هو الجامع لصفات الكمال الإنساني وللمناقب كلها، مثل: العلم والحلم والشجاعة والعفة والكرم وسائر الفضائل، ويرى الصوفية: أن الإنسان الكامل الحقيقي، هو الواسطة بين الحق والخلق، وبه وبمرتبته يصل فيض الحق والمدد الإلهي إلى العالم كله، ولولاه لم يقبل شيء من العالم المدد الإلهي.

والكامل بذاته: الكامل مطلقاً، المتصف بجميع الكمالات الوجودية في نفسه أو بذاته، وهو الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له.

والتكامل: حركة الشيء نحو كماله المقدر له واللائق به شيئاً فشيئاً (أي: تدريجياً) ويطلق على ترابط أجزاء الكائن الحي أو المجتمع من جهة ما هي متوقفة على بعضها البعض، أي: يكمل بعضها بعضاً.

والتكامل في الاقتصاد: الجمع بين صناعات مختلفة يكمل بعضها بعضاً وتتعاون في الوصول إلى غرض واحد.

كلمة الإنسان

الإنسان: اسم جنس يقع على الذكر والأنثى، الواحد والجمع، وهو الكائن الحي العاقل الذي يتمتع بحرية الإرادة والاختيار من بني آدم وحواء عليهما السلام أي: الناس أو البشر، والجمع: أناس وأناسي. وقيل: سمي إنساناً من الإنس مقابل الوحشة والنفور؛ لأنه لا قوام له إلا بالأنس مع غير من أبناء جنسه؛ ولأنه يأنس بكل ما يألفه، وقيل: من الإيناس، أي: الإبصار والعلم وقوة الإدراك، لأنه يتميز عن غيره من الحيوانات بالعقل وإدراك الكليات، وقيل: من النواس، أي: الحركة مقابل السكون، وقيل:

من النسيان مقابل الذكر؛ لأنه عهد إليه فنسي. ويسمى الإنسان: بشراً، قيل: لأنه خُلِقَ في أحسن تقويم، فهو أحسن الحيوانات هيئة، وقيل: لظهور بشرته العارية من الشعر والوبر، وقيل: من البشارة، وعليه: يسمى إنساناً بالنظر إلى جانبه النفسي الداخلي، ويسمى بشراً بالنظر إلى جانبه الجسدي الظاهر.

وقيل: الإنسان مركب من أربع صفات: صفات بهيمية، وصفات سبعية، وصفات شيطانية، وصفات ربوبية، فيصدر من الصفات البهيمية: الشهوة والشره والفجور ونحوها، ومن الصفات السبعية: الغضب والحسد والعداوة والبغضاء ونحوها، ومن الشيطانية: المكر والخداع والحيلة والضلال ونحوها، ومن الصفات الربوبية: الكبر والعزة وحب المدح والثناء والاستعلاء ونحوها.

وقيل: أول ما يُخلق في الإنسان البهيمية فيغلب عليه الشره والشهوات كما في الطفل، ثم يخلق فيه في مرحلة لاحقة السبعية فيغلب عليه المعاداة والمنافسة، ثم يخلق فيه الشيطانية فيغلب عليه المكر والحيلة والخديعة، ثم يخلق فيه الربوبية فيغلب عليه الكبر والاستعلاء، وحين يبلغ الأربعين عاماً، يخلق فيه العقل فيظهر الإيمان وينجو من تلك الظلمات.

والإنس: الناس أو البشر، وتقابله: الجن والملائكة، والجمع: الأناس والأناسي. وتأنس: صار إنساناً.

والإنسي: المنسوب إلى الإنس، وقيل: الإنسي من كل شيء ما يلي

الإنسان، والوحشي ما يلي الجانب الآخر له.

وقيل: من أساليب القرآن الكريم، إذا كان المقام مقام التعبير عن المفرد، يذكر الإنسان مثل، قوله الله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾[1] وقول الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإنسان بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾[2] وقول الله تعالى: ﴿خَلَقَ الإنسان ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[3] وغيرها. وإذا كان المقام مقام التعبير عن الجمع، يذكر الناس، مثل: قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾[4] وقول الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[5] وقول الله تعالى: ﴿لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[6] وغيرها.

وقيل: أكثر ما أتى في القرآن باسم الإنسان ذُكِرَ عند الذم، مثل: قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الإنسان لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[7] وقول الله تعالى: ﴿وَكَانَ الإنسان عَجُولًا﴾[8] وقول الله تعالى: ﴿وَكَانَ الإنسان قَتُورًا﴾[9] وغيرها.

وعرّف علماء المنطق الإنسان: أنه حيوان ناطق؛ لأنه يتميز عن غيره

---

١. الإسراء: ١٣

٢. العنكبوت: ٨

٣. الرحمن: ٣-٤

٤. البقرة: ٢١

٥. البقرة: ١٤٢

٦. البقرة: ١٤٣

٧. إبراهيم: ٣٤

٨. الإسراء: ١١

٩. الإسراء: ١٠٠

من الحيوانات بإدراك الكليات والاستعداد للبيان وفهم الخطاب، ويتعلم الصناعات ويعلمها، ويفعل الأفعال الكائنة بالاختيار الفكري والاستنباط بالرأي.

وعرف علماء الأخلاق الإنسان: أنه حيوان أخلاقي؛ لأنه يتميز عن غيره من الحيوانات بمعرفة القيم الثلاث: الحق والخير والحمال، ويتحلى بالفضائل، مثل: الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة.

وعرف علماء الاجتماع الإنسان: أنه حيوان اجتماعي بالطبع؛ لأنه لا قوام له إلا بالعيش المشترك مع أبناء نوعه والأنس بهم، وأنه يتميز عن غيره من الحيوانات، بأنه يتغير ويتكامل ويصنع ماهيته بنفسه، ويتوصل إلى كماله الإنساني اللائق به والمقدر له عن طريق الحياة الاجتماعية.

والإنساني والإنسانية: المنسوب إلى الإنسان، فيقال: العقل الإنساني، والأعمال الإنسانية، وقيل: الإنسانية تدل على ما اختص به الإنسان من الصفات وأكثر استعمال هذا اللفظ في اللغة العربية للمحامد، مثل: الحكمة والعدل والشجاعة والحلم والكرم والجود والعفة ونحو ذلك.

والإنسانية عند الفلاسفة: المعنى الكلي المجرد الدال على ما تتقوم به ماهية الإنسان التي تميزه عن غيره من الأنواع، ولا يبلغ الإنسان أعلى مراتب الإنسانية إلا بتنمية صفات الكمال الإنساني، مثل: الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة، وإخراج ما فيه من الإمكانيات والقابليات والمواهب والاستعدادات من القوة إلى الفعل، يقول صاحب الرسالة الجامعة: «من كان للعلم ألزم وعليه أحرص وأدوم وفيه أرغب، فهو إلى

كمال الإنسانية أقرب»[1]، وقد تطلق الإنسانية على مجموع الخصائص المشتركة للجنس البشري، وعلى مجموع أفراد النوع الإنساني من حيث إنهم يؤلفون موجوداً جماعياً.

كلمة الفؤاد

الفؤاد: القلب إذا اعتبر فيه معنى التفؤد - أي: التوقد - بمعنى أنه يعيش حالة التأمل والتفكير والتحليل والتفسير والابتكار، وهي حالة تحصل للإنسان بعد حصوله على علوم وتجارب كافية، من تفأدت النار، أي: تحرقت وتوقدت، والجمع: الأفئدة، وقيل: «الأفئدة توصف بالرقة، والقلوب توصف باللين؛ لأن الفؤاد غشاء القلب، إذ رق نفذ القول فيه وخلص إلى ما وراءه، وإذا غلظ تعذر وصوله إلى داخله، وإذا صادف القلب شيئاً علق به إذا كان ليناً»[2].

والمراد بالفؤاد في القرآن الكريم: مبدأ الشعور والفكر من الإنسان، وهو النفس الناطقة (العقل).

وفارغ الفؤاد: لا هم عنده ولا حزن أو سيء الحال.

وتخصيص الأفئدة في قوله تعالى: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۝٦ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾[3] للتنبيه على فرط تأثيرها؛ لأنها تحرق الظاهر - الجسد - والباطن - الفؤاد -؛ ولأن لا شيء في جسد الإنسان ألطف من الفؤاد

١. الرسالة الجامعة، جزء ١، صفحة ٩٢

٢. معجم مجمع البحرين

٣. الهمزة: ٦-٧

ولا أشد تأذياً منه، وقيل: لأن الفؤاد مبدأ الشعور وموطن الكفر والنفاق والمعتقدات الباطلة والأخلاق السيئة المذمومة والنيات الخبيثة، وقيل: لأنها لا تحترق، إذ أنها لو احترقت لمات أصحابها، وهم لا يموتون في جهنم، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾[1] أي: لا يموت فيجد الراحة، ولا ينال ما تطلب له الحياة، بل يعاني من العذاب الشديد أبداً بدون انقطاع، ولأنهم أحرقوا قلوب المؤمنين بسخريتهم بدينهم وجرائمهم الشنيعة ضدهم، فنشر نار الغضب الإلهي على أفئدتهم فتحرقها، فيلاقوا جزاءً يشبه أعمالهم الخبيثة جداً.

كلمة الشكر

الشكر: تصور النعمة بالقلب وإظهارها، والثناء على المنعم بها، ويقابله: الكفر، وهو نسيان النعمة وسترها، والشكر ثلاثة أقسام:

شكر القلب: هو تصور النعمة والاعتراف بها.

شكر اللسان: هو الثناء على المنعم بالقول.

شكر سائر الجوارح: هو عمل الطاعات وترك المعاصي.

وشكر فلان الله: اعترف بنعمته عليه ومدحه وأثنى عليه، وفعل ما يجب عليه من الطاعات وترك المعاصي التي نهاه عنها.

والشكور: صيغة مبالغة، بمعنى كثير الشكر، وهو المتوفر على أداء الشكر مرة بعد مرة، والباذل فيه وسعه، وقد شغل فيه قلبه ولسانه وسائر

١. طه: ٧٤

جوارحه.

وقول الله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[1] تنبيه على أن مرتبة الشكر مرتبة إنسانية عالية، وأن توفية شكر الله تبارك وتعالى التامة بحسب الطاقة البشرية لا يؤديه إلا القليل القليل من خواص الأولياء وعباد الله الصالحين، ولا يحصل إلا بتوفيق خاص من الله تبارك وتعالى للعبد، وفيه حث شديد وبالغ للإنسان للسعي من أجل الوصول إلى هذه المرتبة الإنسانية العالية؛ مرتبة الشاكرين.

وإذا وصف الله سبحانه وتعالى بالشكر، قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾[2] فيعني: إنعامه على عباده، ومغفرته لهم وتجاوزه عن سيئاتهم، وجزاءه لهم بالكثير من الثواب على القليل مما قاموا به من الطاعات، وحسن الذكر لهم والثناء الجميل عليهم.

المعنى الإجمالي والمضامين العامة للآية

تشير الآية الشريفة المباركة إلى أن الله ﷻ قد أخرج الناس من بطون أمهاتهم حين الولادة على حال يكونون في صحيفة بيضاء نقية خالية من كل صورة ورسم، غير عالمين شيئاً من العلوم والمعارف، لكنه زودهم بقابلية فطرية لكسب العلوم والمعارف في كافة الحقول، وهي قابلية تلقي الإحساسات وحفظها وتذكرها وتحليلها وتركيبها وتسبيبها وتعليلها، وقابلية الاستنباط والاستنتاج والابتكار ونحو ذلك، وهي

١. سبأ: ١٣

٢. التغابن: ١٧

قابلية قابلة للنمو شيئاً فشيئاً - تدريجياً - وزودهم بآلات الإدراك وأصول الفكر؛ لتفعيل تلك القابلية وإخراجها من القوة إلى الفعل، لإزالة الجهل الذي ولدوا عليه، وكسب العلوم والمعارف في مختلف الحقول والعمل بمقتضاها، وشق طريقهم في الحياة وتحديد مصيرهم باختيارهم، والسير في طريق الرقي والتكامل المعرفي والتربوي والحضاري، والوصول تدريجياً - شيئاً فشيئاً - إلى كمالهم المقدر لهم واللائق بهم، وتحصيل السعادة الحقيقية الكاملة في الدارين الدنيا والآخرة، والفوز بالرضوان الإلهي العظيم والنعيم المقيم الذي لا زوال له ولا اضمحلال في الآخرة.

والأدوات هي: الحواس الخمس والعقل، حيث تقوم الحواس الخمس: السمع والبصر والشم والذوق واللمس، بنقل المحسوسات - الصور الجزئية المفردة - إلى العقل الذي يدركها ويدرك ما بينها من المشتركات والمفارقات والعلاقات، ويقوم بتحليلها وتركيبها وتنظيمها وتصنيعها وتبويبها، والسعي لمعرفة أسبابها وتفسيرها وتعليلها ونحو ذلك، ويستخرج منها بالاستنتاج والابتكار التصورات المركبة والمفاهيم الكلية، مثل: مفهوم الإنسان والحيوان والوجود والماهية والعلية ونحو ذلك، وذلك وفق قواعد فطرية مغروسة في عقل الإنسان، كما يدرك العقل اقتران أحد المعلومين، الموضوع والمحمول بالآخر ويصدر حكمه في ذلك، وهو التصديق الذي ينقسم إلى قسمين:

البديهيات: هي القضايا الواضحة بذاتها، ولا يحتاج التصديق بها - وهو الحكم عليها بالصدق أو الكذب - إلى دليل خارج عنها، فيكفي مجرد تصور موضوعها وتصور محمولها للحكم عليها، مثل: الكل أعظم

من جزئه، الواحد نصف الاثنين، والنفي والإثبات لا يجتمعان ونحو ذلك.

الكسبيات: هي القضايا التي يحتاج التصديق بها إلى دليل وبرهان صحيح من العقل أو التجربة، مثل: الحديد يتمدد بالحرارة، والعالم حادث، ومحمد نبي، وعلى وصي، ونحو ذلك، والعلم بها مما امتاز به الإنسان عن غيره من الحيوانات، يقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «اَلْعُقُولُ أَئِمَّةُ اَلْأَفْكَارِ وَاَلْأَفْكَارُ أَئِمَّةُ اَلْقُلُوبِ وَاَلْقُلُوبُ أَئِمَّةُ اَلْحَوَاسِّ وَاَلْحَوَاسُّ أَئِمَّةُ اَلْأَعْضَاءِ»[1]، ولأن العلم بالكسبيات يتوقف على البديهيات، والعلم بالبديهيات يتوقف على تصور موضوعاتها وتصور محمولاتها، وحدوث هذه التصورات يتوقف على ما تنقله الحواس الخمس من الإدراكات، فإن حدوث جميع المعارف وقوام حياة الإنسان يتوقف على الحواس الخمس، مما يدل على أنها من أعظم النعم الإلهية التي أنعم الله تبارك وتعالى بها على الإنسان، وتستوجب شكر الإنسان لله تبارك وتعالى.

وعليه: فالإنسان حين الولادة يكون في غفلة تامة عن كل شيء حتى عن نفسه، وبالتدريج تحصل لعينه قوة النظر، ولأذنه قوة السمع، ولأنفه قوة الشم، وللسانه قوة التذوق، ولجلده قوة اللمس، ولعقله قوة الإدراك والتحليل والتركيب والتعليل والتفسير والاستنتاج والابتكار، فتحصل لديه التصورات والمفاهيم الكلية والتصديقات، ويحصل له العلم بذاته وبالمحيط الخارجي وبالحقائق الكونية والسنن التاريخية، ويكتسب العلوم النظرية الطبيعية والإنسانية، والعلوم التطبيقية، ونحو ذلك.

---

١. بحار الأنوار، جزء ١، صفحة ٩٦

وقد خص الله سبحانه وتعالى في كتابه المجيد في الآية الشريفة المباركة موضوع البحث بالذكر، السمع والبصر لأهميتهما الكبيرة وتميزهما عن باقي الحواس الخمس في تحصيل المعرفة، وقيل: قدم السمع على البصر، قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾[1] لأن الأذن تسبق في العمل العين عند الطفل، وقيل: إن عملها يبدأ والطفل جنين في بطن أمه؛ ولأن السمع أوسع وأعم، فالعين ترى الأشياء الحسية فقط، بينما يصل الإنسان عن طريق السمع إلى معرفة جميع الحقائق الحسية وغير الحسية، ويسمع النصائح الصادقة والمواعظ المؤثرة ونحو ذلك.

وقيل: إن الإنسان يصل عن طريق القراءة إلى معرفة جميع الحقائق الحسية وغير الحسية، إلا أن القراءة خاصة ببعض الناس وليست عامة للجميع؛ لأن بعض الناس أميون لا يقرؤون ولا يكتبون، بينما السمع عام لجميع الناس، ما لم يُصب الإنسان بعاهة في سمعه، والإصابة بالعاهة أمر مشترك يمكن أن تصاب به العين كذلك.

وقد نبهت الآية الشريفة المباركة إلى أن الغاية من تزويد الإنسان بقابلية اكتساب العلوم والمعارف وأدواتها، هي: أن يدرك الإنسان ذاته والأشياء التي تحيط به في العالم الخارجي، ويتفاعل معها تأثراً وتأثيراً ويحدد مصيره ويختار طريقه في الحياة، ويقيم حياته وحضارته على وجه الأرض، فيدرك مقدار ما أنعم الله تبارك وتعالى به عليه، ويتحرك لديه الحس الفطري لشكر المنعم الكامن في أعماق نفسه، فيقوم بتأدية حق تلك النعم الربانية عليه، عن طريق تحصيل المعرفة الحقة

١. النحل: ٧٨

بقلبه، والثناء على الله تبارك وتعالى وتمجيده بلسانه، وفعل الخيرات والأعمال الصالحة وأداء الطاعات التي أمر بها الله ﷻ بسائر جوارحه، وترك المعاصي والآثام والجرائم التي نهى عنها، فيسير بذلك في طريق النجاة ويصل إلى كماله الإنساني المقدر له واللائق به، ويحصل على السعادة الحقيقية الكاملة في الدارين الدنيا والآخرة، ويفوز بالنعيم الأبدي والرضوان الإلهي العظيم في الآخرة، وكل من يفعل غير ذلك فهو جاحد منسلخ من إنسانيته، ومحجوج عند الله سبحانه وتعالى بآياته وبيناته، ومغلوب وخاسر لنفسه وظالم لها بحق وحقيقة.

نتائج مهمة

نتوصل مما سبق إلى النتائج المهمة التالية:

إن تحصيل الإدراكات التصورات والتصديقات والعلوم والمعارف بجميع أنواعها، دليل على وجود الروح؛ لأنها من خواصها وليست من خواص المادة، ودليل على وجود الخالق العليم وتوحيده ووجوب السير في طريق العبودية والطاعة له؛ لأن الإدراكات والتصورات والعلوم والمعارف، زيادة نوعية في درجة الوجود على المادة ورتبة نوعية فوقها، فالمادة عاجزة عن أن تمنح نفسها الإدراكات الحسية والعقلية وتحصيل العلوم والمعارف المختلفة؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه، فلا بد من وجود الروح، وأن يكون منشأ الإدراكات والتصورات والتصديقات والعلوم والمعارف قوة عليا فوق الطبيعة والمادة، تمتلك الحياة والعلم والقدرة بصورة مطلقة في ذاتها، وتمنح الوجود والحياة لغيرها، وقد جعلت الموجودات متفاوتة في مراتب الوجود والحياة، فجعلت

بعض الموجودات جماداً فاقداً للحياة والإدراك، وجعلت بعضها حياً غير مدرك (النبات) وبعضها حياً مدركاً للجزئيات ويتحرك بالإرادة (الحيوان) وبعضها حياً مدركاً للكليات ويفعل الأفعال الكائنة بالاختيار الفكري والاستنباط بالرأي (الإنسان) وموجودات أخرى ذات خصائص مختلفة، مثل: الجن والملائكة.

إن معرفتنا بالعالم الخارجي والعلوم المكتسبة، تعود إلى مصدرين: الحواس الخمس والعقل، وإن المعرفة المكتسبة تنقسم إلى قسمين:

المعرفة الحسية المباشرة.

المعرفة العقلية الواسعة للقضايا غير الحسية من عالم الطبيعة وعالم ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقا) التي يدركها الإنسان بعمليات عقلية (فكرية) مثل: إدراك قواعد المعرفة والمنطق، والحقائق الكلية، والمفاهيم العامة، وقوانين الطبيعة والوجود، والسنن الاجتماعية والتاريخية، ومبادئ الخير والجمال، ونحو ذلك.

وهي المعرفة التي تقود الإنسان لأن يكون القوة الفاعلة المؤثرة التي تقود الكون والحياة وصناعة الحضارة الإنسانية الراقية المتميزة على وجه الأرض، أي: يسير الإنسان في طريق التكامل المعرفي والتربوي والحضاري حتى يصل الإنسان إلى الكمال اللائق به والمقدر له، ولا يمكن أن يتحقق الكمال الحضاري للاجتماع الإنساني، إلا بظهور الدين الإلهي الحق الكامل، والإمام الحق والولي الأعظم الكامل قطعاً.

وما سبق يدل على أمور رئيسية عديدة تتصل بالمعرفة، منها:

القيمة العالية الفائقة جداً للعقل الذي يتمتع به الإنسان، ويتميز به عن غيره من الحيوانات، ويرتقى به فوق المحسوسات والجزئيات فيدرك به الكليات والمغيبات، ويتحصل على العلوم والمعارف الواسعة في مختلف الحقول والمجالات، وهو الهبة الربانية الجليلة للإنسان، يقول الإمام الباقر عليه السلام: «لَمَّا خَلَقَ اَللهُ اَلْعَقْلَ اِسْتَنْطَقَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ أَقْبِلْ فَأَقْبَلَ ثُمَّ قَالَ لَهُ أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ ثُمَّ قَالَ وَ عِزَّتِي وَ جَلاَلِي مَا خَلَقْتُ خَلْقاً هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ وَ لاَ أَكْمَلْتُكَ إِلاَّ فِيمَنْ أُحِبُّ أَمَا إِنِّي إِيَّاكَ آمُرُ وَ إِيَّاكَ أَنْهَى وَ إِيَّاكَ أُعَاقِبُ وَ إِيَّاكَ أُثِيبُ»[1]، وفي الحديث النبوي الشريف: «قِوَامُ اَلْمَرْءِ عَقْلُهُ وَ لاَ دِينَ لِمَنْ لاَ عَقْلَ لَهُ»[2].

خطأ المذاهب التجريبية التي تنكر وجود مبادئ أولية عقلية متقدمة على التجربة ومتميزة عنها، والحسيون الذين قالوا إن جميع المعارف تعود إلى الحواس الخمس، وينكرون المصادر الأخرى، مثل: الفيلسوف الاسكتلندي دافيد هيوم (١٧١١-١٧٧٦م) الذي قال: إن المعارف هي سلسلة انطباعات حسية، والفكرة التي يستحيل ردها إلى الانطباعات الحسية التي كونتها هي فكرة وهيمة.

والمدرسة الماركسية (١٨١٧-١٨٨٣م) التي تقول: إن التصورات هي إحساسات واردة من العالم الخارجي، وأن العقل لا يقوم بعملية استنباط لمعاني وأفكار خارج نطاق الحس، وأن كل ما لا يحس لا وجود له.

خطأ الذين أنكروا دور الحواس الخمس في تحصيل المعرفة مطلقاً،

١. الكافي، جزء ١، صفحة ١٦

٢. روضة الواعظين، صفحة ٩

مثل: الفيلسوف الألماني لايبنز (١٦٣٢-١٦٧٧م) الذي قال: إن جميع المعارف البشرية فطرية. أو أنكروا دور الحواس الخمس في تحصيل بعض المعارف، مثل: الفيلسوف الفرنسي أوجست كونت (١٨٥٧-١٧٩٨م) الذي قال: إن مبادئ الرياضيات معارف فطرية.

إن بعض المعارف التصديقية وليدة الفطرة - البديهيات - فيدرك العقل صدقها تلقائياً ولا يحتاج إلى دليل خارج عنها، مثل: مبدأ الذاتية - الشيء هو عين ذاته - ومبدأ التناقض - النفي والإثبات لا يجتمعان - والكل أعظم من جزئه، والواحد نصف الاثنين، والظلم قبيح والعدل حسن، ونحو ذلك.

وبعضها كسبي يتم تحصيل التصديق بها بواسطة تركيبات البديهيات – الاستدلال - مع التنبيه إلى أن كون البديهيات فطرية، لا يعني أن الطفل يدركها حين ولادته، وإنما يعني أن الطفل يمتلك الاستعداد الفطري والقابلية للتصديق بها إذا تصور موضوعها وتصور محمولها، وهذا يحدث له تدريجياً عن طريق تكرار توارد المحسوسات - الإدراكات الحسية الجزئية المنفردة - وما يجريه عليها العقل من عمليات فكرية، وعليه: فإدراك الطفل البديهيات لم يكن بصورة فعلية حين ولادته، فهو غافل عنها وعن نفسه تماماً حين ولادته، ولكنه يدركها بالقوة على النجو الذي تم تفصيله وتوضيحه وبيانه.

إن المعرفة الحسية لا سيما المنقولة عن طريق السمع والبصر تمثل القاعدة الأولى للمعرفة العقلية المتطورة لدى الإنسان، ففي البداية تتكون لدى الإنسان المعارف الحسية الجزئية التي مصدرها الحواس الخمس

ثم يقوم العقل بعملية الاستنباط والاستنتاج والابتكار، فتتكون لدى الإنسان معارف كلية ومعاني ومفاهيم عامة غير محسوسة، مبنية في الأساس عن طريق التحليل والتركيب والاستنباط على المعارف الجزئية الحسية، مثل: مفهوم الإنسان والحيوان والوجود والماهية والزمان والمكان والصورة والعلة والمعلول ونحو ذلك، ومفهوم الحب والبغض والأمن والخوف والسرور والحزن والخير والشر والعدل والظلم والعفة والفجور والشجاعة والجبن ونحو ذلك، ويكون قادراً على التمييز بين الأفكار وتمحيصها ومحاكمتها، وحل المشاكل ومعالجتها، وإقامة العلاقات الناجحة مع الغير، الله سبحانه وتعالى، الناس، الطبيعة، وإقامة مجتمع وحضارة وصناعات، ونحو ذلك، كما أن المعارف الفطرية هي الأساس في بناء المعرفة المكتسبة بجميع أنواعها التجريبية والبرهانية وتحصيل اليقين فيها؛ لأن اليقين لا بد أن يستند إلى البديهيات اليقينية مباشرة أو بواسطة؛ لأن الظن والجهل لا يولّدان اليقين، وعليه: فالمعارف الفطرية سابقة على جميع المعارف المكتسبة.

تشير الآية الشريفة المباركة إلى مصدرين للمعرفة: التجربة وعمادها الحواس الخمس، والاستدلال العقلي وعماده الفؤاد - العقل - وهما المصدران الأكثر شيوعاً واعتماداً في حياة الناس، إلا أن ذلك لا ينفي وجود مصادر أخرى للمعرفة، مثل: الوحي الذي ينزل من عند الله تبارك وتعالى على الأنبياء الكرام عليهم السلام والإلهام والتحديث الذي يحصل للأوصياء المطهرين والأولياء الصالحين عليهم السلام مثل: الأئمة المطهرون من أهل البيت عليهم السلام ومريم بنت عمران (أم عيسى) ويوكابد (أم موسى) وسارة (أم إسحاق) اللواتي حدثتهن الملائكة، وغيرهم من الرجال والنساء،

يقول الإمام الكاظم عليه السلام: «إِنَّ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجَّتَيْنِ حُجَّةً ظَاهِرَةً وَ حُجَّةً بَاطِنَةً فَأَمَّا الظَّاهِرَةُ فَالرُّسُلُ وَ الْأَنْبِيَاءُ وَ الْأَئِمَّةُ ع وَ أَمَّا الْبَاطِنَةُ فَالْعُقُول»[1]، ومثل: المجاهدة الروحية - الشهود القلبي - ويعني: أن الإنسان كلما طهرت نفسه وصفى قلبه بالمجاهدة والزهد وعمل الطاعات وترك المعاصي، تمكن أكثر من المعرفة بالله ذي الجلال والإكرام، ومعرفة حقائق الكون وسنن الاجتماع والتاريخ وأسرار الوجود، قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[2] وقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[3] أي: يحصل لكم بالتقوى من ثبات القلوب ونفاذ البصائر وحسن الهداية علماً ونوراً تفرقون به بين الحق والباطل والطاعة والمعصية والخير والشر والصواب والخطأ والنافع والضار والصديق والعدو، ويتبين به لكم المخرج من الشبهات وحل المشكلات والمعضلات والنجاة من الضلال والشقاء والأخطاء القاتلة والهلاك، وغير ذلك من مصادر المعرفة.

إن أدوات المعرفة: الحواس الخمس والعقل، هي من أفضل نعم الله تبارك وتعالى الجليلة التي وهبها للإنسان وأنعم بها عليه؛ لأن بها يدرك الإنسان ذاته والأشياء الخارجية المحيطة به، ويعرف الحق والباطل والحلال والحرام والطاعة والمعصية والخير والشر والفضيلة والرذيلة والنافع والضار والصديق والعدو ونحو ذلك مما تتقوم به حياته، ويعمل

١. الكافي، جزء ١، صفحة ١٦

٢. العنكبوت: ٦٩

٣. الأنفال: ٢٩

بمقتضى ما يعلم من العلوم والمعارف؛ ليصل إلى كماله المقدّر له واللائق به؛ وليسلم من الخطأ والهلاك والشقاء، وتحصل له السعادة الحقيقية الكاملة في الدارين الدنيا والآخرة، ويفوز بالنعيم الأبدي الذي لا يزول والرضوان الإلهي العظيم في الآخرة، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ كَانَ عَاقِلاً كَانَ لَهُ دِينٌ وَ مَنْ كَانَ لَهُ دِينٌ دَخَلَ اَلْجَنَّةَ»[1].

وقد أراد الله جل جلاله للإنسان أن يتدبر ويتعمق في فهم هذه النعم الربانية الجليلة، ويتعرف على أهميتها وقيمتها وتأثيرها البالغ في مجرى حياته؛ ليعرف فضل الله تبارك وتعالى ومقدار ما أنعم به عليه، فيسلك طريق توحيده وحبه وطاعته وشكره ودعائه وعبادته والانقطاع إليه، لنيل رضاه ومحبته وثوابه؛ لأن وعي النعمة مع سلامة الطبع والمنطق يستوجب الشكر بالقلب واللسان والجوارح من المنعَم عليه للمنعِم الذي أنعم عليه، ووهب له تلك النعم الجليلة تسهيلاً لحياته وإقامةً لأمره، ومن أجل نجاته وسعادته.

ومن الواضح البيّن لكل ذي عقل وشعور وفهم وبصيرة، أن نعمة أدوات المعرفة، الحواس الخمس والعقل، لا يقف نفعها عند حدود رؤية المادة وعالم الطبيعة، والقيام بحوائج الجسد كما يتوهم الماديون، بل تتعدى ذلك إلى حدود عالم الغيب واستفادة العبرة والموعظة، وبناء شخصية الإنسان الفردية والمجتمعية، وتكميله فكرياً وروحياً وتربوياً وحضارياً، والاستعداد لما بعد الموت، مما يعطى لها بعداً أعمق وأهمية كبرى في وجوده وحياته وتحديد مصيره، وهذا يكشف بدون شك

١. الكافي، جزء ١، صفحة ١١

ولا ريب عن أهمية المعارف الإلهية والتشريعات والقيم الربانية التي يحاول الجاهلون والغافلون تجاهلها ونسيانها والتقليل من شأنها؛ لأنها الوسيلة لأداء حق الشكر للمنعم والسير في طريق التكامل وتحصيل السعادة الحقيقية للإنسان، كما يحمل الإنسان مسؤولية عظيمة، عقلية وأخلاقية، بحسن توظيف النعم المادية والمعنوية التي وهبها الله تبارك وتعالى له، ومنها أدوات المعرفة، - الحواس الخمس والعقل -، بأن يوقفها على تحصيل ما خلقت من أجله من الخير والنفع لا أن ينحرف ويميل بها عن وجهتها، فيوقف السمع في التواصل البناء مع الغير، وتحصيل العلوم والأخبار والتجارب المفيدة النافعة، والإصغاء إلى آيات الوحي والتنزيل والحكم والنصائح الصادقة والمواعظ المؤثرة الحسنة، ونحو ذلك.

ويوظف البصر في رؤية الآيات التكوينية في الآفاق والأنفس، والبحث عن مظاهر الجمال والجلال، والاعتبار في الخلق، وتذوقها واستشعارها والاعتبار بها ونحو ذلك. وتوظيف العقل في النظر والبحث وتنظيم التجارب والخبرات المستفادة، والاستدلال على الحق والعدل والخير والفضيلة والصواب في العقيدة والأخلاق والعبادات والمعاملات والمواقف والعلاقات ونحو ذلك، وتكوين الرؤية الفكرية الواقعية السديدة الواضحة عن الكون والإنسان والحياة والتاريخ والحضارة، وتحديد مصيره واختيار سلوكه ومواقفه وعلاقاته عن علم ومسؤولية؛ ليكون من الناجين من الهلاك والشقاء ومن الحاصلين على السعادة الحقيقية الكاملة في الدارين الدنيا والآخرة، لا أن ينحرف ويميل بالنعم عن وجهها إلى الباطل والظلم والشر والضلال والمعاصي والآثام والجرائم

والجنايات، فيكون من الخاسرين الأشقياء الهالكين الظالمين لأنفسهم بحق وحقيقة بسوء اختيارهم وبأعمالهم السيئة المذمومة.

الآية الشريفة المباركة دليل على تكامل الإنسان بالعلم والعمل، لما بين العلم والمعرفة وبينهما الشكر المندوب له في الآية كغاية من رابطة، ولأن الإنسان كما تشير الآية الشريفة المباركة، يولد صحيفة بيضاء نقية خالياً من جميع العلوم والمعارف، ثم يكتسب العلم والمعرفة ويعمل بمقتضى علمه وإيمانه، فيتغير ويتبدل تدريجياً - شيئاً فشيئاً - في سلوك أحد الطريقين:

طريق الصعود إلى الملأ الأعلى عن طريق العقيدة الحقة والأخلاق الحسنة الحميدة والأعمال الصالحة حتى يصبح أفضل من الملائكة المطهرين وأكمل.

طريق الهبوط إلى الدرك الأسفل عن طريق العقائد الباطلة والأخلاق القبيحة المذمومة والأعمال السيئة حتى ينسلخ من إنسانيته تماماً، ويصبح أضل من البهائم وأسوء حالاً من الشياطين.

ولأن الإنسان بحسب حقيقته الوجودية كائن عاقل يمتلك حرية الإرادة والاختيار، وأن وصوله إلى كماله اللائق به والمقدر له يتوقف على تحصيل المعارف الحقة وفعل الخيرات والأعمال الصالحة الموافقة لفطرته وطبعه السليم، ولا يحصل له الكمال بغير ذلك، وأن الشكر للمنعم يمثل درجة عالية في الكمال الإنساني.

وبما أن العلوم والمعارف تتوقف على الأدوات المذكورة - الحواس

الخمس والعقل -، فهذا يكشف عن العلاقة بينها وبين الوصول إلى الكمال، وأن كل خطوة يخطوها الإنسان نحو الكمال والتقدم، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتلك الأدوات.

وفي الآية الشريفة المباركة حث شديد وبليغ للإنسان على السير في طريق الصعود، حتى يصل إلى مرتبة الأبرار الشاكرين العالية، مما يكشف عن سر قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1] بعد ذكر نعم أدوات المعرفة؛ لأن الشاكرين الأبرار يمثلون درجة عالية جداً في الكمال الإنساني، بدليل قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[2].

١. النحل: ٧٨

٢. سبأ: ١٣

بحث حول الروح

تعريف الروح

أولاً - الروح في اللغة

روح الشيء: نفسه وحقيقته وماهيته وجوهره، فيقال: روح القانون، وروح الفكرة، وروح الموقف، ونحو ذلك. والروح اسماً لما به تحصل الحياة (مبدأ الحياة) العضوية والانفعالية، وبه تحصل الحركة الإرادية والنمو والتكاثر، واستجلاب المنافع واستدفاع المضار لدى الكائنات الحية: النبات والحيوان والإنسان والجن.

وقد أضاف الله تبارك وتعالى روح الإنسان إلى نفسه، فقال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[1]. أي: فإذا أتممت خلق آدم عليه السلام، وكملت أجزاؤه كلها، وسويت الطين الذي خلق منه على هيئة إنسان، ثم أدخلت فيه الروح الكريم الذي هو روحي لأني أملكه

---

١. ص:٧٢

وحدي، ولا يملكه أحد غيري، وهو مبدأ الحياة والحركة الإرادية والنمو والتكاثر والشعور والعزم والإرادة والتصميم والتعقل والأخلاق، فقعوا على الأرض ساجدين له سجود خضوع واحترام وتكريم وتحية، وقيل: إن إضافة الله سبحانه وتعالى روح الإنسان إلى نفسه، هي إضافة ملك وتشريف وتعظيم واصطفاء لها على سائر الأرواح، وقيل: الروح والنفس بمعنى واحد. وتطلق الروح في اللغة أيضاً على الجزء الطيار للمادة بعد تقطيرها، فيقال: روح الخمر، وروح الورد، ونحو ذلك.

ثانياً - الروح في الفلسفة

جوهر قدسي بسيط مجرد، ينتمي إلى عالم الملكوت (الغيب) اللامحدود، الباقي الذي لا يفنى، ولا يزول. فليس للروح مساحة: طول وعرض وعمق، ولا شكل لها ولا صورة ولا كتابة ولا وزن ولا حيز ولا مكان، ولا تشيخ ولا تفنى بعد الموت، بل تبقى إما في نعيم مقيم وسعادة كاملة، أو في عذاب مقيم وشقاء كامل. وهي مبدأ الحياة: العضوية والانفعالية لدى الإنسان والحيوان، وبها تحصل الحركة الإرادية والنمو والتكاثر والشعور والإدراك والإرادة والتعقل والأخلاق واستجلاب المنافع واستدفاع المضار وسائر الأفعال الإنسانية والحيوانية بواسطة الجسد. وتمثل الروح نفس الإنسان وحقيقته التي تحقق له إنسانيته، والأساس الذي تقوم عليه وحدة شخصيته وكيانه، وإليها يشير بقوله (أنا) ورأسي وصدري وقلبي وعقلي وفكري وشعوري وإرادتي وقصدي ورجلي ويدي ونحو ذلك، وسمعت وقلت وفهمت وصنعت وخططت ودبرت وذهبت وأكلت وشربت وكتبت ونحو ذلك.

والأرواح تطهر وتتلوث وتتكامل وتنقص من خلال التفاعل مع الجسد: تؤثر فيه، وتتأثر به، وتوظفه للقيام بأعمالها المادية؛ مثل: الأكل والشراب والنكاح والحركة والاستماع والنطق والشم والقتال والتعليم ونحو ذلك، فترتقي حتى تصل إلى ذروة الكمال والسعادة المقدرة لها، وتسكن في ساحة القدس والطهارة والنور في عالم الملكوت الأعلى، وتفنى في الله ذي الجلال والإكرام، وتكسب صفات كماله - صفات الجمال والجلال - وتتخلق بأخلاقه سبحانه وتعالى. أو تهوى وتسقط إلى الدرك الأسفل للحيوانية والشيطنة ويستولي عليها الجهل والاستغراق في عالم الدنيا والمادة والاشتغال بالأهواء والشهوات والملذات الحسية والأغراض الباطلة والمقاصد الفاسدة ونحو ذلك.

وللروح صحة واستقامة ورغائب وأشواق؛ مثل: العلم والفهم واليقين والطمأنينة والحب والقدرة والأخلاق الفاضلة والاستقامة على الطريقة الوسطى والنهج القويم والأعمال الصالحة ونحو ذلك.

ولها أمراض وأدواء ومهلكات؛ مثل: الجهل والكفر والنفاق والشك والأوهام والرياء والسمعة والتكبر والحسد والأخلاق الذميمة والأعمال السيئة؛ مثل: الكذب والزنا وشرب الخمر والربا ونحو ذلك من العقائد الباطلة والأخلاق القبيحة والأعمال السيئة التي توجب اضطراب الباطن، وتكدير صفو السر والسريرة، وتحمل النفس على الميل إلى الباطل واتباع الأهواء والأغراض الباطلة والمقاصد الفاسدة والانحراف عن الدين الإلهي الحق (الإسلام الحنيف) والصراط المستقيم والنهج القويم والطريقة الوسطى ومخالفة أئمة الحق والهدى عليهم السلام، فإذا تمتعت

الروح بالصحة والاستقامة، واتصفت بالفضائل، واكتسبت الخصال الحسنة وأشرف الصفات، كانت البهجة والسعادة والسرور أبداً، وإذا أصبحت عليلة سقيمة منحرفة عن الصراط المستقيم والنهج القويم والطريقة الوسطى، واتصفت بالرذيلة، واكتسبت الخصال السيئة والصفات الذميمة، ومالت إلى الباطل والفجور واتباع الأهواء الشيطانية والشهوات الحيوانية، كانت في العذاب والشقاء والحزن الأبدي الكامل في نار جهنم في الآخرة، وقد تخلد في العذاب والشقاء والحزن الأبدي الكامل في نار جهنم في الآخرة، إذا استولى عليها الكفر والنفاق والأخلاق القبيحة المذمومة والأعمال السيئة، وعليه: فالروح هي التي تحمل أمانة التكليف الإلهي للإنسان؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإنسان إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[1].

وعليها يقع العقاب بالمعصية والثواب بالطاعة، وعنها قال علماء اللاهوت: إنها صورة إلهية بها يشابه الإنسان الملائكة، ويتهيأ للاتصال بالله ذي الجلال والإكرام وملكوته الأعلى وحبه وعشقه والأنس به والتلقي منه والابتهاج بلطائف الحكمة وفيوضات النور الإلهي الأقدس، ومجاورة الله العلي الأعلى سبحانه وتعالى والزلفى لديه واكتساب صفات كماله - صفات الجمال وصفات الجلال - والتخلق بأخلاقه والفناء فيه والبقاء به.

والروح حقيقة واحدة؛ لكنها ذات مراتب ودرجات مختلفة تختلف باختلاف أثرها في الحياة، ولها مراتب ودرجات للتكامل والرقي، ينال

١. الأحزاب: ٧٢

منها الإنسان حظوظاً بحسب سعيه وجِدّه ومجاهدته، فمنها ما هو في النبات، ومنها ما هو في الحيوان، ومنها ما هو في عموم الناس؛ المؤمنين وغير المؤمنين، ومنها ما يؤيد الله تبارك وتعالى بها عباده المؤمنين خاصة دون غيرهم، قال الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإيمان وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾[1] وهي روح أشرف وجوداً وأعلى مرتبة وأقوى أثراً من الروح الإنسانية العامة عند كل الناس؛ المؤمنين وغير المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2] إذ عدّ الكافر ميتاً، وعدّ المؤمن حياً له نور خاص يمشي به في الناس، ويميز به بين الحق والباطل، وبين الصواب والخطأ، وبين الخير والشر، وبين الفضيلة والرذيلة، ونحو ذلك، وهو أثر الروح الخاصة التي أيده الله تبارك وتعالى بها، وهو أثر في الحياة ليس موجوداً عند الكافر. ومن الأرواح ما يؤيد الله تبارك وتعالى بها الأنبياء والرسل الكرام والأوصياء المطهرين عليهم السلام، قال الله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾[3] وهذه الروح أشرف وأعلى مرتبة من غيرها مما في الإنسان من أرواح.

وللروح في الفلسفة تعريفات أخرى، منها:

الجوهر العاقل المدرك لذاته من حيث هي مبدأ التصورات، والمدرك

---

١. المجادلة: ٢٢

٢. الأنعام: ١٢٢

٣. البقرة: ٨٧

للأشياء الخارجية من جهة ما هي مقابلة للذات. فلدينا تقابل في الإدراك بين الذات المدرِكة (الأنا) وبين الأشياء الخارجية المدرَكة (اللا أنا).

القوة العاقلة التي تقابل الغرائز والشهوات الحيوانية والأهواء الشيطانية، ويطلق اسم الأرواح الضعيفة على العقول العاجزة عن التفكير الموضوعي المنظم، وعلى العقول السريعة التأثر بالإيحاء وبالضغوط: الترهيب والترغيب ونحوها. ويطلق اسم الأرواح المتمردة على العقول الغريبة في التفكير، المعادية للعقائد الدينية والمعارف الحقة والأخلاق الفاضلة والتشريعات الإلهية السمحة والسلوك المستقيم ونحو ذلك، يقول الفيلسوف الفرنسي باسكال (١٦٢٣م - ١٦٦٦م): «الاتحاد علامة الأرواح المتمردة» وتسمى الأرواح المتمردة تهكماً بالأرواح القوية، وقلت تهكماً لأن الأرواح المتمردة في الحقيقة والواقع من الأرواح الضعيفة والخبيثة التي تخضع للأهواء الشيطانية، وتتبع الأغراض الباطلة والمقاصد الفاسدة، والروح القوية هي روح المؤمن التي تتحلى بالطمأنينة، وتبحث عن الحقيقة، وتتصف بالموضوعية والنزاهة، ولا تخضع للضغوط مهما عظمت؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾[1].

الجوهر العاقل المقابل للمادة.

وتمثل الروح الواجهة الخلفية لعالم الإنسان، وهي سر وحدة شخصيته وكيانه، وجوهر وحقيقة وجوده، ولها ثلاثة أسماء، يطلق كل اسم على حالة من حالاتها والأسماء هي:

١. الإسراء: ٧٤

الروح: ويطلق عليها بما هي جوهر بسيط مجرد ومبدأ للحياة.

النفس: ويطلق عليها بما هي متعلقة بالجسد تعلق تدبير وتصرف، تؤثر فيه، وتتأثر به، وتوظفه في القيام بأعمالها المادية؛ مثل: الحركة والشعور.

النفس الناطقة: ويطلق عليها بما هي مدركة لذاتها، ومدركة للأشياء الخارجية المحيطة بها، ولكونها مستعدة لبيان وفهم الخطاب.

ثالثاً - الروح في القرآن الكريم

للروح في القرآن الكريم معانٍ عديدة، منها:

أ. ما به الحياة، قول الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ (التي هي مبدأ الحياة) قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1].

ب. كلمة الإيجاد (كن) التي يوجِد الله (عز وجلّ) بها الأشياء من جهة انتسابها إلى الله سبحانه وتعالى بلا مادة ولا زمان ولا مكان؛ لا من جهة انتسابها إلى الأسباب والعلل الطبيعية الظاهرية؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وقُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[3] إشارة إلى كلمة الإيجاد.

ج. أشراف الملائكة المطهرين عليهم السلام قال الله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ

١. الإسراء: ٨٥

٢. البقرة: ١١٧

٣. الإسراء: ٨٥

وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[1]، وقال أيضا: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[2]، وذلك لأن الملائكة المطهرين أرواح محصنة على اختلاف مراتبهم ودرجات قربهم وبعدهم من الله ذي الجلال والإكرام، ويعرفهم الفلاسفة بأنهم: «جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة من حيث الماهية، وأكمل منها قوة وأكثر علماً، وإنما النفوس البشرية جارية منها مجرى الأضواء من الشمس»[3].

د. جبرائيل عليه السلام؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[4]، وقال أيضا: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾[5] والمراد جبرائيل عليه السلام الذي نزل بالوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله.

ه. عيسى بن مريم عليه السلام؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾[6]، وقيل: سمي عيسى بن مريم روحاً لما كان منه من إحياء الأموات، وقيل: لأنه وُجد بكلمة الإيجاد (كن) التي هي الوجود من حيث انتسابه إلى الله سبحانه وتعالى وقيامه به؛ لا من حيث انتسابه إلى الأسباب

---

١. المعارج: ٤

٢. النبأ: ٣٨

٣. الإنسان، عبدالوهاب حسين، جزء:١، صفحة: ٢٧

٤. النحل: ١٠٢

٥. الشعراء: ١٩٢-١٩٣

٦. النساء: ١٧١

والعلل الطبيعية الظاهرية.

و. الوحي والقرآن الكريم؛ قال الله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾[1] أي: ينزل الملائكة بالوحي، وقال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإيمان وَلَٰكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[2] أي: أوحينا إليك القرآن، وقيل: سمى الوحي والقرآن روحاً لأنهما سببان للإيمان والهدى والحياة الروحية (المعنوية) والحياة الأخروية.

الروحي والروحاني: يطلقان على المنسوب إلى الروح وإلى الأمور الدينية والصوفية، وهما مقابل المادي والجسمي والدنيوي (الزمني). وعليه: فالحياة الفكرية حياة روحية، ويقال: السلطة الروحية للدينية، والسلطة الزمنية للمدنية.

والمذهب الروحي: نقيض المذهب المادي، وهو المذهب القائل بروحانية النفس، وأنها جوهر بسيط مجرد مستقل عن الجسد (البدن)، ويطلق في علم الأخلاق على المذهب القائل بأن للفرد والمجتمع غايتين: غاية متعلقة بالحياة المادية والحيوانية، وغاية متعلقة بالحياة الروحية والفكرية المحضة.

ويطلق في علم الوجود العام (الأنطولوجيا) على المذهب القائل: إن

١. النحل: ٢

٢. الشورى: ٥٢

في الوجود جوهرين:

١. روحي من صفاته الذاتية الفكرُ والحرية.

٢. مادي من صفاته الذاتية الامتدادُ والحركةُ غير الإرادية.

وهو مذهبٌ يؤمن بوجود الله سبحانه وتعالى، وببقاء الروح (النفس) وخلودها بعد الموت، ويؤمن بتقديم القيم الروحية والفكرية والمعنوية واللذات الروحية على القيم المادية والغرائز والشهوات الحيوانية واللذات الحسية.

وعلم الروح: علم يبحث في شأن أرواح الأموات.

وعلم الكائنات الروحية: علم يبحث في طبيعة الكائنات الروحية؛ مثل: الأنفس والملائكة والجن، ويسمى: علم ما بعد الطبيعة الخاص، في مقابل الميتافيزيقا وهو علم ما بعد الطبيعة العام.

علاقة الروح بالجسد وآثارها

الإنسان عالَم واحد متجانس مؤلف من عالَمين: عالم الروح، وعالم المادة (الجسد/البدن)، وهما متلازمان ومتضايفان ما دامت الحياة الدنيوية قائمة، ثم يموت الجسد (البدن) بمفارقة الروح له، وتبقى الروح حية لا تموت إلى الأبد. ولكل من الروح والجسد رغائب وأشواق يتوق إليها، وله منفّرات يهرب منها. ولكل منهما صحة وسقم ومنجيات ومهالك. ويعتبر التركيب والمزج العجيب بين الروح وبين الجسد في عالم الإنسان وتكوينه، والتجاذب والتنافر بين رغائب وأشواق الروح

والجسد، والسير في طريقي؛ الصعود إلى الملأ الأعلى (عالم الملكوت) عالم النور والطهارة، والهبوط إلى الدرك الأسفل عالم الظلام والرجس، عالم الأهواء الشيطانية والشهوات الحيوانية، والركون إلى عالم الدنيا والمادة واللذات الحسية، هو الأساس لحقيقة الإنسان وجوهر وجوده وسر تميزه ومكانته النوعية الوجودية بين جميع الكائنات في الكون بأسره، لما يتمتع به من العقل وحرية الإرادة والاختيار، وهو الأساس لحركته التكاملية: المعرفية والتربوية والحضارية على وجه الأرض، ولابتلاءاته واختلافاته ومنافساته وصراعاته وتضامناته وتعاوناته في الحياة. فذلك التركيب والمزج العجيب بين الروح وبين الجسد في عالم الإنسان وتكوينه هو السر وراء الهدى والضلال والاختلافات الفكرية والعقائدية والأخلاقية، وفي الخصال المكتسبة والأمزجة والتوجهات والسلوك والمواقف وبناء العلاقات، وما يحدث من صراعات وحروب وتنافس أو تضامن وتعاون بين الناس؛ الأفراد والجماعات والشعوب والأمم والدول والحضارات، ولولا ذلك التركيب والمزج العجيب لما كان لشيء من ذلك وجود ولا أثر.

فبفضل وتأثير ذلك التركيب والمزج العجيب، نجد بعض الناس ينجرون - بتفاوت في الدرجات - وراء رغائب وأشواق الجسد، ويصبحون سجناء في عالم الدنيا والمادة، وعبيداً وأسرى لأهوائهم الشيطانية وشهواتهم الحيوانية ولذاتهم الحسية وحاجاتهم المادية والدنيوية وأغراضهم الباطلة ومقاصدهم الفاسدة، فلا يكون لهم همّ إلا في الطعام والشراب والنكاح والمسكن والمركب والمال والجاه والنفوذ والسلطة، انطلاقاً من شهوات أنفسهم ورغباتهم وأهوائهم ونزواتهم، ويتصفون

بأقبح الصفات وأرذل الخصال وأخسها؛ مثل: الكفر والنفاق والرياء والسمعة والأنانية والإثرة والانتهازية والاستئثار والاستعلاء والاستكبار والعناد والخداع والتضليل ونحو ذلك، ويفعلون المنكرات والأعمال السيئة والجرائم الشنيعة النكراء؛ مثل: القتل بغير حق، والبطش والظلم والاعتداء على حقوق الآخرين وانتهاك الحرمات والمقدسات، والسعي لفرض الذات والإرادة والأمر الواقع على الآخرين بغير حق ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، والتسلط على العباد بغير إرادتهم ورضاهم وعلى خلاف مصالحهم، وسلب حرياتهم، ونحو ذلك من الجرائم والجنايات والذنوب والمعاصي والآثام، من أجل إرضاء أهواء أنفسهم ونزواتها ورغباتها، إلى درجة الانسلاخ الكامل من ربقة الإنسانية والسقوط التام إلى الدرك الأسفل للشيطنة وحظيرة البهيمة.

وفي المقابل نجد أناساً صالحين تسمو نفوسهم فوق المادة والشهوات واللذات الحسية وعالم الدنيا والمصالح والأغراض الباطلة والمقاصد والنيات الفاسدة، ويتعلقون بالرغائب والأشواق الروحية؛ مثل: العلم والحكمة واليقين والإيمان والحب والإخلاص والصدق والوفاء والحلم والصبر والعفة والشجاعة والعدل والإنصاف والتضحية والإيثار والفداء ونحو ذلك، وينقون أنفسهم ويصفّونها من كدارة المادة والطبيعة والشهوات ورجس المعاصي والذنوب والآثام والجرائم والجنايات، ويفعلون الخيرات والأعمال الصالحة؛ مثل: العبادات والطاعات، والبذل والعطاء؛ المادي والعلمي والروحي، ويقدمون الدعم والمساندة والخدمات المتنوعة للآخرين، والتعاون والتضامن معهم على كل خير ومعروف وفضيلة وبر وعمل صالح وفعل جميل، ويقطعون مراحل

السير والسفر في طريق التكامل؛ المعرفي والتربوي الحضاري، ويسمون بأنفسهم عن عالم المادة والطبيعة والغرائز والشهوات والأغراض الباطلة والمقاصد الفاسدة والأوهام والتخيلات الفارغة إلى عالم العقل والروح والحقائق والملكوت والنور والطهارة والبهجة الحقيقية والسرور حتى يصبحوا بحق وحقيقة أفضل من الملائكة المقربين المطهرين، ويصبحوا حجة لله سبحانه وتعالى على الناس أجمعين، وفوراً يهتدي به الناس في الظلمات المعنوية في الحياة، وقدوة حسنة لهم في الفكر والعقيدة، والأخلاق والسلوك والمواقف والعلاقات، قال الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾[1] فلسيت القدوة الحسنة محصورة في الأنبياء والرسل الكرام والأوصياء المطهرين عليهم السلام بل تشمل جميع المؤمنين والعباد الصالحين الصادقين في إيمانهم وطاعتهم، الذين يعملون ويتصرفون بمقتضى علمهم وإيمانهم، وعليه: فالإنسان بسبب التركيب والمزج العجيب بين الروح وبين الجسد، يتميز بأنه المخلوق الوحيد بين جميع المخلوقات الذي يصنع ماهيته بنفسه، فهو ليس جامداً في كماله، وليس له ماهية أو حقيقة أو جوهرٌ واحدٌ لا يتغير، مع التنبيه إلى ضرورة التمييز في المراد بين ما ورد هنا بشأن الماهية وما ورد هناك بشأن الفطرة واللبيب يفهم، وليس له مسلكٌ واتجاهٌ واحدٌ في الحياة لا يتخطاه ولا يتعداه مثل سائر الكائنات إلى غيره، وإنما هو كان حي متغير يختار ماهيته، ويصفها لنفسه بما يكتسب من أفكار وخصال، وما يؤديه من أعمال، ويتخذه من مواقف في الحياة، فله في كدحه وسيره خطان:

أ. **خط الصعود:** يسمو فيه ويرتقي ويتكامل بالعلم والمعرفة الحقة

١. الممتحنة: ٤

والأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة حتى يصبح أفضل من الملائكة المقربين، ويسكن ساحة القدس والفردوس في عالم الملكوت عالم النور والقدس والطهارة والبهجة والنعم والسرور.

ب. **خط الهبوط:** يهوي فيه ويسقط بالوهم والشكوك والوساوس والعقائد الباطلة والأفكار المنحرفة الضالة والأخلاق القبيحة والخصال الذميمة والأعمال السيئة حتى ينسلخ تماماً من إنسانيته، ويصبح أضل من البهائم وأسوأ من الشياطين وأكثر منهم شراً، ويسكن في ساحة الرجس والعذاب في الملكوت الأسفل، عالم الشياطين والظلام والقذارة والحزن والهلاك والشقاء.

فالإنسان بوسعه أن يكون ملكاً مقدساً، وشيطاناً رجيماً، وسبعاً ضارياً، وبهيمة جهلاء، ونحو ذلك، وليس بوسع غيره أن يكون كذلك. ويدل على خطى الصعود والهبوط قول الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۝١٠﴾[1]، وقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «إن الله (عز وجل) ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوة بلا عقل، وركّب في بني آدم كليهما (العقل والشهوة) فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم»[2] وهذا ما تسميه الفلسفة الوجودية بأصالة الوجود، يقول أتباعها: إن الإنسان وجود بلا ماهية، وهو الذي يهب لنفسه الماهية باختيار طريقة وأعماله في الحياة.

١. الشمس: ٧-١٠

٢. بحار الأنوار، ج:٦٠، ص:٢٩٩

اللذات الحسية والروحية في الآخرة

قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾[1].

بيان المفردات

اللذة: إدراك الملائم لطبيعة (نفس) الكائن الحي المدرِك من حيث هو ملائم؛ مثل: إدراك الحلاوة، وحصول المرجو، ويقابله: الألم، وهو إدراك المنافي لطبيعة (نفس) الكائن الحي المدرِك من حيث هو منافٍ مثل: إدراك المرارة، والحرمان، وقيل: إن إدراك الملائم؛ مثل: الحلاوة لا يولد اللذة، أي: أن تصور الحلاوة لا يولد اللذة، إلا إذا كان مصحوباً بالنيل، أي: الكيف، وعليه: فاللذة إدراك وكيفية في ذلك الإدراك ملائمٌ للنفس. وقيل: اللذة هي الشعور بالكمال، والألم هو الشعور بالنقص. وقيل: اللذة تنشأ عن الفعل الموافق لطبيعة (نفس) الكائن الحي، والألم ينشأ عن

---

١. محمد: ١٢

الفعل المضاد لطبيعة (نفس) الكائن الحي. وقيل: اللذة هي الحالة الحاصلة عن تغير المزاج إلى الاعتدال، والألم هو الحالة الحاصلة عن تغير المزاج إلى الفساد. والجمع: اللذات.

ولذّ بالشيء: وجده لذيذاً. ولذّذته: جعلته يلتذ. وتَلاذّا: التذ كل منهما بالآخر.

وفلان لَذٌ: طيب الحديث. ولذة للشاربين: صيغة مبالغة، بمعنى: شديدة الالتذاذ.

والملذ: موضع اللذة.

والملذة: الشهوة.

وتنقسم اللذة إلى قسمين: لذة حسية تتولد عن إحساسات جسمانية؛ مثل: لذة الطعام والشراب والنكاح واللمس الناعم والشم الطيب المريح ونحو ذلك، ولذة روحية (عقلية) تتولد عن إدراك الكمال؛ مثل: لذة الحكمة والمناجاة والأنس والمرح والمدح والأمن، وتسمى: فرحاً وسروراً وبهجة وسعادة، وهي لذة تغمر وجود الإنسان كله ولا تختص بحاسة معينة.

وقد جعل الله تبارك وتعالى للإنسان في جميع الأعمال والأفعال لذائذ تتصل بها وغايات حيوية تنتهي إليها، والإنسان يوقع تلك الأفعال والأعمال لأجلها، وبتحققها تتحقق الغايات الإلهية والأغراض التكوينية؛ مثل: بقاء الأشخاص وبقاء النوع، ولولا اللذات لم يتعب الإنسان نفسه بالأعمال الشاقة المطلوبة؛ مثل: الإنجاب والتربية، فيختل بتركها النظام

ويهلك الأشخاص ويفنى النوع وتبطل حكمة الخلق والتكوين. وحصول اللذة مستند دائماً إلى طبيعة (نفس) الكائن الحي وطبيعة الأشياء وتركيبها، هو الأمر المنسوب إلى الله سبحانه وتعالى وواقع في طريق سَوق الأشياء والكائنات إلى غاياتها التكوينية؛ قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[1] وآخر ما ينتهي إليه الإنسان هي السعادة الحقيقية التي خُلق لها أو ما يظن أنها السعاة الحقيقية، وقد ثبت بالتحقيق العلمي: أن الذي يوصل الإنسان إلى السعادة الحقيقية هي اللذات الروحية (العقلية) الناشئة عن الفطرة والمتوافقة معها؛ مثل: لذة الإيمان والحكمة والطاعة. أما اللذات الروحية (العقلية) المنحرفة عن الفطرة السليمة؛ مثل: لذة التمرد والفسوق والعصيان، فهي توصل الإنسان حتماً إلى الشقاء الحقيقي الكامل والعذاب المؤلم في الدارين: الدنيا والآخرة.

ومبدأ اللذة عند فرويد (١٨٥٦- ١٩٣٩م): «أن الميل إلى اللذة والنفور من الألم، هما اللذان يحددان سلوك الطفل في أول عمره، حتى إذا نما وترعرع وعلمته التجارب وهذبته، تعود تدريجياً (شيئاً فشيئاً) إلى الإعراض عن بعض اللذات والرضا بتحمل بعض الآلام في سبيل منفعته العاجلة أو الآجلة».

وعليه: فطبيعة الإنسان توجب عليه الحصول على الحد الأقصى من اللذة، لكن إرادته العاقلة التي هذبتها التجارب، تُعوّدُه النظر إلى العواقب، فيعرض عن اللذات المباشرة، في سبيل الحصول على

١. طه: ٥٠

الأفضل والخير الأعظم، يقول الطبيب والفيلسوف النمساوي سيغمند فرويد: «إن تطور الحياة النفسية خاضع لمبدأ اللذة، ولكن هذا المبدأ كثيراً ما يتقهقر بتأثير غريزة حفظ البقاء أمام مبدأ آخر وهو مبدأ الواقع، الذي يجعلنا نؤجل الاستمتاع باللذة دون الإقلاع عن هدفها النهائي»[1].

الحِسّ: الاسم من أحس بالشيء؛ أي: أدركه وأصابه بحسه وعلم به ووجده. فلما أحس عيسى منهم الكفر: ظهر منهم الكفر ظهوراً بان للحس فضلاً عن الفهم. فلما أحسوا بأسنا: علموا شدة بطشنا بإحساسهم وشاهدوا منا العذاب. ويطلق الحس على الحركة، والصوت الخفي، وما يسمع مما يمر قريباً منا ولا نراه، وبرد يحرق الزرع والكلأ لشدته، ووضع يصيب المرأة عند الولادة، ومس الحمى أول ما تبدأ، ويطلق على إدراك المعاني إدراكاً تلقائياً، فيقال: الحس الفني، والحس الأدبي، والحس الأمني، والحس القانوني، والحس الرياضي ونحوه.

والحس في الفلسفة: القوة التي تدرك الإحساسات بواسطة الحواس (آلات الحس)، وهي: الحواس الظاهرة الخمس، والوظيفة النفسية الفيزيولوجية (الحواس الباطنة) التي تدرك بها النفس أحوالها؛ مثل: الجوع والعطش والألم والتوازن ونحوه. ويأتي بمعنى الحكم الصحيح المصحوب بالرزانة والاعتدال.

والحس السليم: القوة التي نميز بها بين النافع والضار، وبين الخير والشر، أو يقدّر قيمة الشيء تقديراً صحيحاً عادلاً، ويقابله: التسرع والإفراط في التخيل ونحوه. ويأتي بمعنى الأحوال العقلية السوية،

١. المعجم الفلسفي، صليبا، مادة: اللذة.

ويقابله: الجنون والتعصب والأهواء الشديدة الجامحة التي تفقد العقل اتزانه وميزانه المنطقي الصحيح.

والحس المشترك: قوة النفس التي تجمع ما تؤديه الحواس الظاهرة، وتنسقه، وتصدر أحكاماً تتألف من عدة إحساسات ظاهرية جزئية؛ مثل: الورد مر المذاق. فهذا الحكم ليس وليد عمل حاسة واحدة، وإنما هو نتيجة عمل عدة حواس. ويطلق على ما تشترك فيه عقول جميع الناس من معانٍ كلية ثابتة لا تتغير، ومبادئ بديهية وأحكام أولية عفوية، وهو جزء من العقل وليس العقل كله، ويسمى: العقل العام، والعقل الغريزي المتقدم على العقل المكتسب. ويطلق كذلك على الآراء التي بلغ انتشارها في زمان معين أو في بيئة اجتماعية (مجتمع) معينة، درجة من الشمول والرسوخ تجعل الناس يعدون كل رأي مخالف لها انحرافاً فردياً لا يحتاج دحضه إلى حجة أو برهان.

والحس الخُلُقي: القوة التي تدرك الخير والشر إدراكاً حدسياً مباشراً، ويسمى: الضمير والوجدان الخلقي من جهة ما هو قادر على التمييز والتقويم معاً، وسمي بذلك: لأن الإدراك به مباشر ومفاجئ كالإدراك الحسي، وحال من يفقده كالأعمى الذي لا يدرك الألوان، أو الأصم الذي لا يدرك الأصوات، لأنه يفعل الشر ولا يشعر بالندم وتأنيب الضمير.

وحسه: أبطل حسه.

وأحسه: قتله.

والحسيس: القتيل، والصوت الخفي.

والحاسة: القوة التي بها تدرك المحسوسات، مثل الحواس الخمس السمع والبصر والشم والذوق واللمس)، وتسمى: الحواس الظاهرة، وتقابلها: الحواس الباطنة، مثل: الوهم والخيال وما تدرك به النفس أحوالها، مثل: حالة الجوع والعطش والألم والتوازن ونحوها، والجمع: الحواس.

والحاسة في الفلسفة: قوة طبيعية لها اتصال بأجهزة عضوية: الحواس الخمس والحس العضلي الذي تنسب إليه الإحساسات الحركية، والحس المفصلي الذي تنسب إليه حركات المفاصل وأوضاعها، والحواس الباطنة التي تنسب اليها إدراكات أحوال النفس؛ مثل: الجوع والعطش والألم والتوازن ونحوها، يدرك بها الإنسان أو الحيوان ما يطرأ على جسمه من التغيرات.

وآلات الحس: الحواس الظاهرة والحواس الباطنة والحس العضلي والحس المفصلي.

والحاس والحساس: ذو الحس أو الذي يحس، مثل: الجهاز الحساس.

والإحساس: ظاهرة نفسية متولدة من تأثر إحدى الحواس (آلات الحس) بمؤثر ما، فإن كان للحس الظاهر فهي المشاهدات، وإن كان للحس الباطن فهي الوجدانيات. والإحساس ظاهرة مختلطة: انفعالية وعقلية.. انفعالية: لأنه عبارة عن تبدل في نفس المدرِك، وعقلية: لأنه يشتمل على معرفة بالشيء الخارجي.

والحساسية: قابلية الحس، وهي: قوة الإحساس، أو مجموع العمليات الحسية التي تمكن الإنسان من تمثيل الأشياء، ويقابلها: العقل. وقوة

الشعور بالظواهر الوجدانية (الانفعالية) أو مجموع هذه الظواهر؛ مثل: اللذات والألم والميول والعواطف والهيجانات والأهواء.

والحساسية المادية: ما يتصف به بعض الأجهزة المادية من ردود الفعل السريعة؛ مثل: الميزان الحساس، ولوحة التصوير، ونحوهما.

والحساسية المعنوية: سرعة التهيج أو قوة التعاطف أو الوضوح القوي في الإدراك ونحوه، فإذا زادت الحساسية عن الحد الطبيعي، سُميت: الحساسية المفرطة، وإذا نقصت عن الحد الطبيعي، سميت: نقص الحساسية أو الحساسية الوطيئة.

والحساسية عند كانت (١٧٢٤–١٨٠٤م) نوعان: حساسية تجريبية، وهي: التي تقبل مادة الإحساس من الخارج. وحساسية متعالية، وتشمل الزمان والمكان من حيث إنهما صورتان قبليتان عنده، أي: غير مكتسبتين.

والحساسية العامة: الشعور بالإحساسات الداخلية التي يعزوها المدرك إلى بدنه، مثل: الشعور بالجوع والعطش والألم والتوازن ونحوه، وتقابلها: الحساسية الخاصة، وهي: الشعور بالإحساسات الظاهرة المتولدة من مؤثرات خارجية عن البدن.

والحسي والمحسوس: المنسوب إلى الحس، وما يدرك بالحواس: الظاهرة والباطنة، ويقابله: العقلي. والشيء المؤلف من الإحساسات، فيقال: العمليات الحسية. والمنسوب إلى أعضاء الحس، فيقال: الأعضاء الحسية.

والمذهب الحسي: المذهب الذي يقول بأن جميع معارفنا ناشئة عن الإحساسات فقط.

والحسيات والمحسوسات: القضايا التي يجزم بها العقل بمجرد تصور طرفيها بواسطة الحس الظاهر أو الحس الباطن؛ مثل: الشمس مشرقة، وأنا جائع. والحُساس (بضم الحاء): سوء الخلق.

الآخرة: النشأة الثانية بعد الموت، وتسمى: دار البقاء، وتقابلها: النشأة الأولى في عالم الدنيا، وتسمى: دار الفناء. فإذا جاء وعد الآخرة: جاء وعد قيام الساعة.

وعلم الآخرة: العلم الذي يبحث في المسائل المتعقلة بنهاية العالم ومصير الإنسان؛ مثل: الموت والبعث والحساب والجنة والنار ونعيم الجنة وعذاب النار والخلود ونحو ذلك. ويطلق كذلك على النظريات التي تبحث في مصير الإنسانية بعد اجتيازها مرحلة الوجود الفعلي، أو الحد النهائي الشرطي لوجود إنساني ليس بعده تاريخ.

والأخروي: المنسوب إلى الآخرة.

الكُفْر: سَتر الشيء وتغطيته. كفّرت الشمس النجوم: سترتها. وتكفر في السلاح: تغطى فيه. وكفر بقومه: تبرأ منهم. ويطلق الكفر على كل فعل مذموم.

وكفر النعمة: سترها بترك أداء شكرها وحقها.

والكفر في الدين: جحود الوحدانية والنبوة والشريعة والمعاد، ويقابله:

الإيمان.

والكافر: الجاحد الذي يكفر بالدين أو النعمة والساتر للحق. ويطلق على الليل لأنه يستر الأشخاص، وعلى الزارع لأنه يستر البذر في التراب، وعلى السحاب لأنه يستر الشمس، وعلى وعاء طلع النخل، ونحو ذلك، والجمع: كفار وكفرة وكافرون، وقيل: يستخدم الكفار في جمع الكافر بالدين أكثر، والكفرة في جمع الكافر بالنعمة أكثر. والمؤنث: الكافرة، والجمع: الكافرات والكوافر.

والكفور والكفار: المبالغ في الكفر أو شديد الكفر، وقيل: الكفار أبلغ من الكفور.

وأكفره: حكم بكفره أو نسبه إلى الكفر.

والكفارة: ما يغطى به الإثم ويمحى من صدقة وصيام ونحوهما؛ مثل: كفارة اليمين، وكفارة القتل، وكفارة الظهار، وكفارة الإفطار عمداً في شهر رمضان بدون عذر، ونحو ذلك.

والتكفير: أن يخضع الإنسان لغيره، وإزالة الكفر والسيئات حتى يصير بمنزلة من لم يفعل.

والتكفير في الصلاة: الانحناء الكثير حال القيام قبل الركوع، ووضع إحدى اليدين على الأخرى.

والمكفر: مجحود النعمة مع إحسانه، والمصاب في نفسه وماله لتكفر خطاياه.

المتاع والمتعة: التمتع، وما يتبلغ به من الزاد، وما يعطى للمطلقة لتنتفع به مدة عدتها؛ مثل: المال والخادم وكل ما ينتفع به على وجه ما ويرغب في اقتنائه؛ مثل: المال والطعام والأثاث ونحو ذلك، وقيل: انتفاع ممتد الوقت، لأن أصله المتوع وهو الامتداد والارتفاع، والجمع: أمتعة. ومتع الشيء: بلغ في الجودة الغاية. ومتع فلان: جاد وظرف وكمل في خصال الخير. ومتاع الحياة الدنيا: منفعتها التي لا تدوم. ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين: لكل إنسان في الدنيا تمتع لمدة معلومة. ومتاع الدنيا قليل: في جنب متاع الآخرة، فهو غير معتد به بالقياس إلى متاع الآخرة.

والتمتع: التلذذ والانتفاع.

وتمتع بالشيء: انتفع وتلذذ به، ودام ما يستمده منه.

ومتعة النكاح: النكاح بلفظ التمتع، وهو أن يشارط الرجل المرأة بمال معلوم يعطيها إلى أجل معلوم، فإذا انقضى الأجل فارقها من غير طلاق، سمي بذلك، لأنه انتفاع، ويسمى شرعاً: الزواج المؤقت.

ومتعة الحج: ضم العمرة إلى الحج، سمي بذلك: لما يتخلل بين العمرة والحج من التحلل الموجب لجواز الانتفاع والتلذذ بما كان قد حرّمه الإحرام مع ارتباط العمرة بالحج حتى أنهما كالشيء الواحد شرعاً، فإذا حصل بينهما التمتع فكأنه حصل في الحج.

واستمتع فلان: استنفع، وطلب التمتع، وتزوج المتعة.

ومتّعه: أعطاه المتاع.

الأكل: تناول الطعام، وما يؤكل، والرزق، سمي بذلك: لأنه يؤكل، وإنفاق المال، سمي بذلك: لأن الأكل أكثر ما يحتاج فيه المال، وقيل: أصل الأكل الافناء. وليأكلوا من فوقهم ومن تحتهم: كناية عن سعة الرزق. وتؤتى أكلها: تؤتى رزقها. وأكلت النار الحطب: أحرقته، تشبيهاً بالأكل. وأكلنا بني فلان: ظهرنا عليهم في الحرب. وأكله جلده: حكه. وأكل المال بالباطل، أخذه أو صرفه فيما ينافي الحق. واستوفى أُكُلَه: كناية عن انقضاء أجله. وأكل فلانا: اغتابه. وقوم يأكلون بألسنتهم: تشبيهاً لهم بالبقر التي تأكل بألسنتها، كناية عن جهلهم وأنهم لا يميزون بين الحق وبين الباطل. ويستأكل الضعفاء، يأكل أموالهم بغير حق.

وائتكل الشيء: أكل بعضه بعضاً.

وتأكل الشيء: فسد.

والأكل: من يأكل، والجمع: الأكلة.

والأكول والأكال: الكثير الأكل.

والأكيل: الصاحب في الأكل والشرب.

والأُكْلَة: اللقمة، والمرة من الأكل. وأكلة له: طعمة له.

والمأكول والأكولة: ما يؤكل، والتي تسمن وتعد للأكل، والكبيرة الهرمة ونحوها، وأكيلة الأسد: فريسته.

الأنعام: جمع النَّعم وهي الإبل، قيل: سميت بذلك: لأنها عند العرب أعظم نعمة، وتقال أيضاً للبقر والغنم، وقيل: لا يقال لها أنعام إلا إذا كان

من جملتها الإبل.

والنعامة: طائر كبير الجسم طويل العنق قصير الجناح سريع العدو، قيل: سميت بذلك: تشبيهاً لها بالنعم (الإبل) في الخلقة، لأنها مركبة من خلقة الطير والإبل.

والنعائم: من منازل القمر.

النار: عنصر طبيعي فعال (جوهر) مضيء ومحرق، والجمع: النيران. وتطلق على اللهب الذي يبدو للحاسة، وعلى الحرارة المجردة المحرقة، وعلى جهنم، وعلى الحرب، وعلى الرأي، وقيل: النار والنور من أصل واحد، وكثيراً ما يتلازمان، لكن النار متاع للمقوين (المنتفعين) في الدنيا، والنور متاع لهم في الآخرة، وعليه: استعمل في النور الاقتباس، قوله تعالى: ﴿نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾[1]، وقوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها على ظهوركم فأطفئوها بالصلاة، قوموا إلى الأعمال السيئة التي هي سبب لحصول العقاب بالنار، فأطفئوها (كفروها) بالصلاة؛ أي: أطلق اسم النار على الأعمال السيئة مجازاً من باب تسمية السبب باسم المسبب، وقيل: المراد بالنار حقيقتها، لأن حاصل صورة العمل الظاهرة، هي صورته الحقيقية المعنوية، وهي إما نار أو جنة، إلا أنهما لا يدرَكان إلا بعد مفارقة الحياة الدنيا، وقيل: إن الأولياء الصالحين يرونها أيضاً في عالم الدنيا.

والمنارة: المجمرة أو الجذوة.

---

١. الحديد: ١٣

والنائرة: العداوة والشحناء.

المثوى: المقام والمنزل، والجمع: المثاوي. والمثوى الكريم: المقام الحسن. وعظم مثواي: عظم منزلي ومقامي عندك. وأبو مثواه: صاحب منزله.

والثواء: الإقامة مع الاستقرار.

وثوي بالمكان: أقام فيه.

وأثواه بالمكان: ألزمه الإقامة فيه، وأضافه.

والثوي: الضيف، والأسير، والبيت المعد للضيف، والجمع: الأثوياء.

وثوى فلان: مات ودفن.

والثاوة والثاية: مأوى الإبل.

والثوة: أثاث البيت، وما ينصب على الطريق ليهتدى به.

والثوية: المرأة، وموضع بالكوفة، وحد من حدود عرفة.

المعنى الإجمالي والمضامين العامة للآية

إن الكافرين يقيمون في الحياة الدنيا أياماً قلائل معدودة، وينتفعون بما سخر الله تبارك وتعالى لهم فيها، ويتلذذون بخيراتها وما أنعم الله تبارك وتعالى به عليهم فيها، فهم منهمكون في شهواتهم ولذاتهم الحسية، وهم غافلون عن العظات والعبر والدروس في الحياة، فلا عناية لهم بتحري الحق والفضيلة والصواب، ولا تعلق لقلوبهم بالصفات

والوظائف الإنسانية، ولا يتفكرون ولا يتأملون في حقيقة أنفسهم وجوهرها، ولا في مبدئهم ومعادهم وطريقهم في الحياة وعاقبة أمرهم، ولا في حقيقة الحياة الدنيا الزائلة الفانية وغاية وجودها وخلق الإنسان فيها، ولا في لذاتها المحدودة المؤقتة المشوبة بالألم والمنغصات ومتاعها القليل، ولا في الآخرة الباقية ولذاتها النقية الصافية غير المحدودة والباقية إلى الأبد. لقد وكلهم الله ﷻ إلى أنفسهم بسبب عنادهم واستكبارهم على الحق وأهله ولخصالهم القبيحة ومقاصدهم الباطلة وأعمالهم السيئة، ولاستغراقهم في عالم الدنيا والمادة والمصالح الدنيوية واللذات الحسية، ولسوء منطقهم وتفكيرهم، فلم يستفيدوا من الآيات الإلهية والبينات الواضحة والمعجزات الباهرة والبراهين النيرة الصحيحة ولم يستمعوا للنصائح الصادقة والمواعظ المؤثرة البليغة ونحو ذلك، ولم يتصفوا بالنبل والمروءة، ولم يتحلوا بصفات الكمال الإنساني، بل انسلخوا من إنسانيتهم تمام الانسلاخ، ونزلوا عنها إلى الدرك الأسفل، إلى مرتبة الشياطين المتمردة والبهائم التي لا عقل لها ولا فضيلة ولا نور تهتدي به في ظلمات الحياة العقلية والمعنوية، فجلّ اهتماماتهم وانشغالاتهم باللذات الحسية والشهوات الحيوانية وتلبية احتياجات الجسد ومتطلبات عالم الدنيا الفانية، فترى جميع حركاتهم الظاهرة والباطنة تدور حولها، غير متعدية لها إلى ما فيه الخير والكمال والسعادة. فهم بحق وحقيقة يأكلون كما تأكل البهائم في مسارحها ومعالفها تماماً في الحقيقة والجوهر، وإن اختلفوا عنها في الشكل والمظهر. فهم مثل البهائم لا همّ لهم إلا إشباع حاجاتهم الجسمية؛ حاجات البطون والفروج وأخواتها المكملة لها، ولا اهتمام ولا مُنية لهم وراء ذلك، مكتفين باللذات

الحسية، مفتقرين إلى العلم بالحقائق الفعلية والمعارف الإلهية الحقة، غافلين عن شكر المنعم الذي وهب لهم تلك النعم الجليلة وامتنّ بها عليهم، وغافلين عن التدبر في آياته الواضحة وبيناته النيرة وحجته التامة البالغة، موظفين النعم في المعاصي والذنوب والآثام وارتكاب الجرائم والجنايات ونحوها مما لم تخلق من أجله، لتكون عاقبة أمرهم في الآخرة إلى الشقاء الكامل والعذاب العظيم والخسران المبين، ويكون مثواهم الأخير ومقامهم الدائم ومنزلهم الباقي الذي يستقرون فيه ولا يتحولون عنه، هو نار جهنم التي لا يخرجون منها ولا يخفف عنهم شيئاً من عذابها، وهم مستحقون لذلك بسوء اختيارهم وأعمالهم القبيحة، فهم في تمتعهم في الحياة الدنيا كالأنعام فعلاً من وجوه عديدة، منها أنه: لا همّ لهم إلا الأكل والتلذذات الحسية، وليس لهم مُنية وراء ذلك، وأنهم لا يستدلون بالمأكول على الخالق المنعم الذي أنعم عليهم ووهب تلك النعم الجليلة، ولا يشكرونه ولا يؤدون له حقه عليهم ولا عناية لهم بصفات الكمال الإنساني والوظائف الإنسانية، وكما أنها - الأنعام - غافلة عن الذبح وأنها كلما أكلت أكثر وسمنت أكثر كلما كانت أقرب إلى الذبح، فهم كذلك غافلون عن النار التي هي مثواهم الأخير ومستقرهم الدائم، وأنهم كلما استغرقوا أكثر في الأهواء والشهوات والملذات الحسية، كلما عظم شقاؤهم وعذابهم أكثر في نار جهنم ساءت مستقراً ومقاماً وبئس القرار وبئس المصير، يقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ، كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا عَلَفُهَا، أَوِ الْمُرْسَلَةِ شُغْلُهَا تَقَمُّمُهَا، تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلاَفِهَا، وَتَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا»[1].

١. نهج البلاغة، الكتب والرسائل: ٤٥

وقيل: خصّ الله سبحانه وتعالى الكافرين بالذكر مع أن المؤمنين يشتركون معهم في التمتع بمتاع الدنيا وطيباتها؛ لأن المؤمنين يتفكرون في الخالق المنعم عليهم، ويؤدون حقه عليهم من الشكر والطاعة، والكافرون لا هم لهم إلا التمتع ولا شغل لهم وراء ذلك. ولأن المؤمنين لهم ملك الجنة العظيم في الآخرة، ومتاع الدنيا بالنسبة إليهم قليل حقير ولا يعبأ به ولا يلتفت إليه في حقهم ليذكر، بينما الكافرون ليس لهم إلا متاع الدنيا القليل الزائل المشوب بشتى المكدرات والمنغصات. ولأن الدنيا سجن المؤمن ومن يأكل في السجن لا يتمتع حقيقة، والدنيا جنة الكافر فهي متاعه الوحيد في الوجود.

وقيل: إن عبارة ﴿وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ توحي باحتقار الكفار الذين خرجوا من ولاية الله تبارك وتعالى وطاعته وعدم الاهتمام بهم، وإن العبارة لم تأتِ بصيغة المضارع والمستقبل، وإنما تخبر عن الحال بمعنى: أنهم الآن وهم في عالم الدنيا هم في النار، وحقيقة ذلك: أن عقائدهم الباطلة وأفكارهم الضالة وأخلاقهم وخصالهم القبيحة وأعمالهم السيئة، هي نار فعلية في حقيقتها الباطنية، وهم مبتلون بها، وواقعون فيها، وقد أحاطت بهم من كل جانب وصوب، إلا أنهم غافلون كالبهائم عن هذه الحقيقة، وسوف يفاجؤون بها ويصعقون لها حينما يرونها في يوم القيامة، قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هٰذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾.[1]

أي: لقد كنت في غفلة تامة عن هذه الحقائق الثابتة والمصير

١. ق: ٢٢

البيّن والواقع المزعج الذي تشاهده، تاركاً العمل من أجل النجاة منها والفوز بالسعادة، مع أن هذه الحقائق والمصير والمشاهدات كانت نصب عينيك لا تغيب عنك في عالم الدنيا، لكن استغراقك في عالم الدنيا والمادة والمصالح والأهواء والشهوات والملذات الحسية، وتعلقك بالأسباب الظاهرة وحدها، أذهلك عنها وأغفلك. فكشفنا عنك حجاب غفلتك الذي كان بينك وبين هذه الحقائق والمصير والمشاهدات المزعجة جداً لك، فبصيرتك اليوم حادة نافذة تبصر بها ما كان يخفى عليك، وما لم تكن تبصره في عالم الدنيا، ولكن بدون فائدة لك ترجوها اليوم، فقد انتهى زمن التكليف وجاء زمن الحساب والجزاء، والحجة عليك وليست لك، وفي الآية الشريفة المباركة تحذير بليغ وشديد اللهجة للمكذبين بالدين الإلهي الحق، وما جاء به من الحقائق والآيات والبينات الواضحة والبراهين الساطعة القاطعة.

اللذات الحسية والروحية في الآخرة

الجدير بالذكر أن بعض المؤمنين الأعزاء ينحصر تفكيرهم وهمّهم في عالم الدنيا، وقصدهم من وراء التدين والإيمان والالتزام والطاعات والعبادات في تصوّر نعيم الجنة المادي والقصور والغلمان المخلدين والحور العين ولحوم الطير والفواكه وأنهار الخمر والعسل ونحو ذلك، وتصور ألم النار وحياتها وعقاربها وأشباه ذلك من عذابات جهنم الحسية في الآخرة، فقد تخطوا عتبة الكافرين المكذبين الذين يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام إلا أن عبادتهم لله ذي الجلال والإكرام ليست بالعبادة الحقيقية المجردة، وإيمانهم ليس بإيمان حقيقي كامل، ولا

يدل منهم على الحكمة وكمال العقل والرشد واليقين، فإن من يترك لذائذ الدنيا لنيل لذائذ الآخرة لم يخرج تماماً من الحالة الحيوانية إلى الحالة الإنسانية الكاملة، وليس عابداً لله ذي الجلال والإكرام سبحانه وتعالى على وجه الحقيقة، ولم تتعمق لديه مشاعر الاتصال بالله العلي الأعلى على النحو الأمثل، ولم يذق طعم الحب والعشق الإلهي والفناء في الله ذي الجلال والإكرام والبقاء به لأنه يعمل من أجل التطلعات الروحية والرغائب الإنسانية العشقية لله ذي الجلال والإكرام، وكذلك الذي يعمل من أجل الهروب من عذابات الآخرة، فإنه كذلك ليس عابداً لله ذي الجلال والإكرام سبحانه وتعالى على نحو الحقيقة، ولم تتعمق لديه مشاعر الاتصال السامية والعشق لله ذي الجلال والإكرام، لأنه يعمل بسبب الخوف وفي دائرة دفع الضرر عن نفسه وجلب النفع لها، وهي من الميول الفطرية الطبيعية لدى جميع المخلوقات والكائنات الحية، فلم يتميز عنها بشيء تسمو به نفسه فوقها، فلم يفعل الجميل لأنه جميل في ذاته، والواجب لأنه واجب في نفسه، وهو الأمر الذي يمثل جوهر العبادة الحقيقية الكاملة ويليق بالإنسان الذي يتحلى بالخصال وصفات الكمال الإنساني، بينما رغبة الأولياء الصادقين والعباد الصالحين والعارفين بالله ذي الجلال والإكرام وبحقيقة أنفسهم، والعاشقين لله تبارك وتعالى وإرادتهم هو الانقطاع التام لله رب العالمين والفناء فيه والبقاء به وخوفهم الحقيقي التام من المقت الإلهي والبعد عن الله (جل جلاله) وألم الفراق له، ويقول أمير المؤمنين وسيد الموحدين على بن أبي طالب عليه السلام: «إلهي ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك بل

وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك»[1]، ويقول أيضاً: «فهبني يا إلهي وسيدي ومولاي وربي صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك وهبني صبرت على حر نارك فكيف أصبر عن النظر إلى كرامتك أم كيف أسكن في النار ورجائي عفوك فبعزتك يا سيدي ومولاي أقسم صادقاً لئن تركتني ناطقاً لأضجنّ إليك بين أهلها ضجيج الآملين ولأصرخن إليك صراخ المستصرخين ولأبكينّ عليك بكاء الفاقدين ولأنادينك أين كنت يا ولي المؤمنين يا غاية آمال العارفين يا غياث المستغثين يا حبيب قلوب الصادقين ويا إله العالمين»[2] أي: أن لهيب العشق الحقيقي الصادق المشتعل في قلبه عليه السلام والذي يملأ وجوده وكيانه كله ويدخل في كل جزء من أجزائه يجعله يخاف من ألم فراق المعشوق أكثر من خوفه من ألم عذابات النار الشديدة، وأنه قد يصبر على حر النار وعذاباتها لكنه لن يقدر على الصبر عن النظر إلى وجه المعشوق وكراماته وأنوار جماله وسبحات جلاله، حتى أنه لو قُدّر له غير المقدر فجُعل في نار جهنم وحُبِس بين أطباقها، فإن ألمها وعذاباتها لن تنسيه معشوقه، ولن تشغله عنه، وسوف يناديه من بين أطباقها، ويستغيث به ويضج إليه ضجيج الآملين الراجين لرحمته وعفوه، ولن ييأس منه، فليس له غاية غيره ولا حبيب إلا هو، فلن ينسيه شيء، ولن يشغله عنه شيء مهما كان نعيماً أو عذاباً، فهو وحده لا شريك له، إلهه وربه ومعشوقه وغايته لا غاية له قبله ولا بعده، فلن يبتعد عنه ولن يتركه ولن ييأس منه ولن يخيب رجاءه فيه. يقول المولى العارف النراقي: «والعجب ممن ظن

١. البحار، جزء:٤١، صفحة:١٤

٢. مفاتيح الجنان، دعاء كميل

انحصار اللذة في الحسية وجعلها غاية كمال الإنسان وسعادته القصوى والمتشرعون منهم قصروا لذات الآخرة على الجنة والحور والغلمان وأمثالها، ولآلامها (يعني الآخرة) على النار والعقارب والحيات وأشباهها، وجعلوا الوصول إلى الأولى (يعني الجنة ولذاتها) والخلاص من الثانية (يعني النار وآلامها) غاية في زهدهم وعبادتهم، وكأنهم لم يعلموا أن هذه عبارة الأجراء والعبيد، تركوا قليل المشتبهات ليصلوا إلى كثيرها وليت شعري!! إن ذلك كيف يدل على الكمال الحقيقي والقرب من الله سبحانه؟! ولا أدري أن الباني خوفاً من النار وشوقاً إلى اللذات الجسمية المطلوبة للنفس البهيمية كيف يعد من أهل التقرب إلى الله سبحانه ويستحق التعظيم ويوصف بعلو الرتبة؟! وكأنهم لم يدركوا الابتهاجات الروحية ولذة المعرفة بالله وحبه وأنسه، ولم يسمعوا قول سيد الموحدين يعني الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: إلهي ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك وإنما وجدك أهلاً للعبادة فعبدتك»[1] وفي الحديث الشريف بما معناه أن الله سبحانه وتعالى يأذن لبعض المؤمنين بزيارته في عرشة، فيؤتى لهم بنجائب من نور فيعرج بهم إلى العرش، فلما أن يصلوا إلى مكانهم في العرش، فيخروا لله سبحانه وتعالى ساجدين فيقول الله لهم: عبدي ارفع رأسك فقد انتهى وقت التكليف وهذا وقت الجزاء (ويكلمهم الله سبحانه وتعالى ويكلمونه) وفيما يقول لهم: دعوا أهل الجنة يتمتعون بنعيمها أما أنتم فنعمكم في لقائي والكلام معي، ثم يضيء عليهم نوراً من نوره، فإن عادوا إلى منازلهم في الجنة وجدوا أزواجهم من الحور العين أنهم ازدادوا نوراً رغم أن نورهم كان يسعى بين أيديهم من قبل.

---

١. جامع السعادات، جزء:١، صفحة:٥٠

ويقول العلامة المجلسي: «للتلذذ بالمستلذات الجسمانية أيضاً مراتب ودرجات بحسب اختلاف أحوال أهل الجنة فمنهم من يتلذذ بها كالبهائم يرتعون في رياضها ويتمتعون بنعيمها كما كانوا في الدنيا من غير استلذاذ بقرب ووصال أو إدراك لمحبة وكمال، ومنهم من يتمتع بها وأنها محل رضوان الله تعالى وقربه، فمن كل ريحان يستنشقون نسيم لطفه، ومن كل فاكهة يذوقون طعم رحمته، ولا يستلذون بالحور إلا لأنه أكرمهم بها الرب الغفور، ولا يسكنون في القصور إلا لأنه رضيها لهم المالك الشكور، فالجنة جنتان: روحانية وجسمانية، والجنة الجسمانية قالب للجنة الروحانية فمن كان في الدنيا يقنع من الطاعات والعبادات بجسد بلا روح، ولا يعطيها حقها من المحبة والإخلاص وسائر مكملات الأعمال، ففي الآخرة أيضاً لا ينتفع إلا بالجنة الجسمانية ومن فهم في الدنيا روح العبادة وأنس بها واستلذ منها وأعطاها حقها فهي في الجنة الجسمانية لا يستلذ إلا بالنعم الروحانية»[1] وعليه فاللذات الروحية في الآخرة قسمان: لذات روحية خالصة مجردة مثل قالب اللذات الجسمية كما شرح وبين العلامة المجلسي، إلا أنه ينبغي الإشارة إلى أن ما سبق ذكره وشرحة وبيانه لا يفيد بأن العبادة طمعاً في الجنة أو خوفاً من النار ليست بعبادة صحيحة شرعاً وليست مقبولة عند الله (عز وجل) أو أنها عديمة الفائدة أو نحو ذلك، وإنما يفيد فقط أنها ليست العبادة الحقيقية المجردة الخالصة الكاملة، وأن العشاق وأهل المعرفة الحقيقية بالله ذي الجلال والإكرام وأصحاب اليقين يتنزهون عنها إلى العبادة الحقيقية الخالصة المجردة الكاملة وهي عبادة الله ذي الجلال

١. بحار الأنوار، جزء:٨، صفحة:٢٠٣-٢٠٤

والإكرام سبحانه وتعالى؛ لأنه أهل للعبادة وهي عبادة الأحرار، وعليه لا يمكن رفع اليد عن العبادة طمعاً في الجنة أو خوفاً من النار أو رفضها كلياً لأنها عبادة صحيحة شرعاً مقبولة عند الله تبارك وتعالى، بل هي العبادة التي عليها أكثر الناس، والقليل من الناس هم من الخواص من الأولياء العارفين والعباد الصالحين الأحرار الذين يعبدون الله سبحانه وتعالى حباً له، ولأنه أهل للعبادة، وفي الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «العباد ثلاثة: قوم عبدوا الله عزّ وجلّ خوفاً فتلك عبادة العبيد، وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلب الثواب فتلك عبادة الأجراء، وقوم عبدوا الله حباً له فتلك عبادة الأحرار وهي أفضل العبادة»[1].

١. الكافي، جزء:٢، صفحة:٨٤

الإيمان بالتقليد والإيمان الواعي

بيان المفردات

الإيمان: هو الإذعان والتصديق المطلق، وضده التكذيب، وقيل: الإيمان هو التصديق الذي معه أمن، فلا يحصل الإيمان بالباطل، لأن القلب لا يطمئن إلى الباطل، فليس مع الباطل أمن. والإيمان أيضاً: تسليم النفس بالشيء تسليماً راسخاً، والثقة والطمأنينة المطلقة بشخص أو قول مضمون الصدق أو فعل مضمون السلامة والصواب، فيقال: آمن بفلان، أي: وثق به واطمأن له.

والإيمان في الشرع: إظهار الخضوع والقبول بالدين الإلهي الحق والشريعة الربانية المقدسة، وبما أتى به الأنبياء الكرام والأوصياء المطهرون عليهم السلام من عند رب العالمين سبحانه وتعالى والاعتقاد به وتصديقه، وتجتمع فيه (أي: الإيمان) ثلاثة أمور، وهي:

١. الاعتقاد بالقلب

٢. الإقرار باللسان

٣. العمل بالجوارح

وعليه: ينقسم الذين يظهرون الإيمان إلى ثلاثة أقسام، وهم:

أ. **المؤمنون:** وهم الذين يعتقدون بالقلب، ويقرون (يشهدون) باللسان، ويعملون الأعمال الصالحة والخيرات بالجوارح.

ب. **الفاسقون:** وهم الذين يعتقدون بالقلب، ويقرون (يشهدون) باللسان، ولا يعملون بالجوارح، أي: يعصون فلا يؤدون الواجبات، ولا يتركون المحرمات.

ج. **المنافقون:** وهم الذين يقرون (يشهدون) باللسان، ويعملون بالجوارح، ولا يعتقدون بالقلب.

وقد يطلق الإيمان على كل واحد من الأمور الثلاثة: الاعتقاد بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالجوارح منفرداً، وقد يطلق على الشريعة وعلى الحياء وعلى السخاء وعلى الصبر وعلى السماحة وعلى الإنصاف وعلى الاقتصاد في المعيشة ونحو ذلك، ففي الحديث النبوي: «الإيمان الصبر والسماحة» وفيه أيضاً: «ثلاث من الإيمان: الإنفاق في الإقتار وبذل السلام للعالم، والإنصاف من نفسك»[1]، وفي الحديث عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «الإيمان صبر في البلاء وشكر في الرخاء» وأيضاً: «رأس الإيمان الصدق» وأيضاً: «الإيمان شجرة أصلها اليقين،

١. الكنز، الحديث:٥٧٨٨

وفرعها التقى ونورها الحياء، وثمرها السخاء»[1] ومثلها كثير جداً.

وقيل: يرد الإيمان بالنسبة إلى الله سبحانه وتعالى على صيغتين: الإيمان بالله سبحانه وتعالى، والإيمان لله ﷻ:

الإيمان بالله سبحانه وتعالى: هو التصديق بإثباته على النعت الحق الذي يليق بآلائه وكبريائه.

الإيمان لله ﷻ: هو الخضوع له والقبول عنه والاتباع لما يأمر به والترك لما ينهى عنه.

والمؤمن: المتصف بالإيمان، وهو المعتقد المصدق بالقلب للدين والشريعة، والإيماني: المنسوب إلى الدين والإيمان.

التقليد: هو اتباع الإنسان لغيره فيما يقول أو يفعل، معتقداً الحقيقة فيه من دون نظر وبلا حجة أو دليل أو برهان صحيح، وقيل: سمّي بذلك: لأن المقلد يجعل ما يعتقده من قول الغير وفعله من حق وباطل قلادة في عنقه. وينقسم التقليد إلى أقسام عديدة، منها:

أ. **التقليد الشعوري:** وفيه يكون المقلد عالماً بأنه مقلد.

ب. **التقليد اللاشعوري:** وفيه يكون المقلد غير عالم بأنه مقلد.

ج. **التقليد الإرادي:** وفيه يكون المقلد مريداً للفعل الذي يقلده؛ مثل: الذي يقلد الأصوات ومخارج الحروف ونحو ذلك.

د. **التقليد الغريزي:** وفيه يتبع المقلد غيره فيما يقول أو يفعل اتباعاً

١. غرر الحكم

غريزياً؛ مثل: الطفل الذي يتعلم الكلام ونحوه.

والتقليدية: حب التقليد به، وتطلق على القول بوجوب المحافظة على الأعمال والأعراف والعادات والتقاليد الموروثة المعمول بها في الدين والثقافة والفن والسياسة والاجتماع ونحوها، لا لعلمنا بصوابها ومنفعتها استناداً إلى الدليل البرهاني والتجربة، بل بحجة أنها تعبير طبيعي عن هويتنا وحاجات مجتمعنا، وأنها تعمل على اتصال الأجيال وتماسك المجتمع ونحو ذلك، وأن نقدها والتخلي عنها ومخالفتها ينقص هويتنا: الوطنية أو القومية، ويؤدي إلى الشر والفساد دائماً، ويسمى أصحاب هذا الرأي: التقليديون، ويقابلهم العقليون الذين يوجبون النظر في الموروث وتمحيصه ونقده لمعرفة ما يلزم مما هو حق وصواب ومفيد للتمسك به، وما لا يلزم مما هو باطل وخطأ ومضر لرفضه والتخلي عنه.

والتقاليد: الأعمال والعادات الموروثة التي يقلد فيها الخلف السلف.

الوعي: هو حفظ القلب للشيء والتقدير والفهم وسلامة الإدراك.

ووعي الحديث: حفظه وتدبره وتعقله وفهمه.

ووعي الأمر: إدراكه كما هو عليه أو على حقيقته.

والوعي بالقرآن: تعقل آياته وبيناته والإيمان بها والعمل بمقتضاها.

ويطلق الوعي على العقل والشعور الظاهر بما في النفس وبما في المحيط من الأمور الخارجية: الأشياء والظواهر والسنن ونحوها.

والقلوب الواعية: القلوب الكيّسة الفهمة الحافظة للعلم والجامعة له.

والواعي: الكيّس الفهم الحافظ علماً به وقولاً وعملاً.

واللاوعي: العقل أو الشعور الباطن.

والإيعاء: حفظ الأمتعة في الوعاء (الظرف).

الإيمان بالتقليد والإيمان الواعي

يرى البعض أن الإيمان بالتقليد هو الإيمان الموروث الذي يستند إلى تقليد الآباء والأجداد بدون حجة أو دليل أو برهان صحيح حقيقة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾[1] أي: إذا قيل لهم اتبعوا عقيدة التوحيد وما أنزل الله تبارك وتعالى على أيدي رسله الكرام عليهم السلام من المعارف الحقة والأخلاق الفاضلة والشريعة السمحة، وقامت الحجة العبادية والدليل الظاهر والبرهان الصحيح على صدقه وحقيقته، تعصبوا وتمسكوا بالتقليد البحت وقالوا معارضين ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾، فنعبد الأصنام، ونمشي في الطريق الذي مشوا فيها، ولا نترك ما وجدناهم عليه فهم أعلم وأفهم منا، معطلين بذلك عقولهم والمنطق وملغين لمسؤوليتهم عن اختياراتهم وخياراتهم العينية في الحياة، وغافلين عن كمالهم ووظيفتهم الإنسانية وعن حقيقة الأمر الذي هم عليه، وأنها دعوة الشيطان الرجيم وعدوهم اللدود، التي دعا إليها آباءهم، فاستجابوا له ومشوا خلفه فقرت عينه بقبولهم دعوته التي

١. لقمان: ٢١

مؤداها ومنتهاها إلى عذاب جهنم وبئس المصير والورد المورود، ولا شك فإن الإيمان بالتقليد إيمان مذموم عقلاً وشرعاً ولا يليق بالإنسان العاقل ولا ينسجم مع الوظيفة الإنسانية.

ويقابل الإيمان بالتقليد الإيمان الواعي، وهو الإيمان الذي يستند إلى العلم والدليل الظاهر والبرهان الصحيح، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1] أي: قال اليهود إن الجنة حكرٌ عليهم لن يدخلها غيرهم، وقال النصارى مثل قولهم، وتلك مجرد دعاوى فارغة وأماني كاذبة وتخيلات باطلة وأحلام خاوية، إذ ليس لهم على ذلك حجة صادقة أو دليل ظاهر أو برهان صحيح، وكل إيمان أو عقيدة أو فكرة لا يستند إلى حجة صادقة أو دليل ظاهر أو برهان صحيح يحصل منه اليقين العلمي، لا قيمة له عقلاً وشرعاً وإنسانياً، وعليه أمر الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم ﷺ أن يطالبهم بالحجة والدليل والبرهان على ما يدّعون لكي يقبل منهم ويوافقون عليه ويؤخذ به وتكون له قيمة علمية وروحية وإنسانية عند العقلاء والمتشرعة الإلهيين حقيقةً وفعلاً.

وعليه، يعتبر الرجوع في أصول العقيدة إلى التقليد مذموم: عقلاً وشرعاً، ومخالف للعقل والمنطق والفطرة والطبع الإنساني السليم؛ لأن الإنسان بما هو كائن عاقل يمتلك حرية الإرادة والاختيار، فإنه يسير إلى كماله المقدر له واللائق به وإلى سعادته الحقيقية وغاية خلقه ووجوده في الحياة، بأفعاله الإرادية الاختيارية المتوقفة على الفكر والمعرفة. ولأن الإرادة تابعة للفكر وهو المحرك لها دائماً، فإن الفكر هو الأساس الذي

١. البقرة: ١١١

يبنى عليه كمال الإنسان الوجودي وتحصيل السعادة الحقيقية في الدارين؛ الدنيا والآخرة، فيجب أن يحصل للإنسان اليقين بصحة الفكر والعقيدة والمنهج والطريقة التي يرجع إليها في أفعاله الإرادية الاختيارية؛ الفردية والمجتمعية، لكي يعيّن الإنسان كرامته وإنسانيته، ويصل إلى كماله الحقيقي المقدر له واللائق به، ويتحصل على سعادته الحقيقية الكاملة في الدارين؛ الدنيا والآخرة، ويحقق غاية خلقه ووجوده. ولا يقين حقيقي يحصل للإنسان بالتقليد الأعمى البحت، الذي لا يميز حقيقةً وواقعاً بين الحق والباطل، وبين الهدى والضلال، وبين النور والظلمة المعنوية. فالتقليد في أصول العقيدة من الرذائل المذمومة؛ عقلاً وشرعاً، وتتنافى مع إنسانية الإنسان وكرامته، وتقود الإنسان إلى الضلال والضياع ثم إلى الشقاء الحقيقي الكامل وإلى الهلاك في الدارين؛ الدنيا والآخرة، وهو مخالف للعقل والمنطق والفطرة والطبع الإنساني السليم، حيث يقتضي جميعها البحث عن علل الأشياء ومعرفتها والسعي إلى تحصيل الكمال الحقيقي والفعلي للإنسان، وهو كمال يتنافى قطعاً مع الباطل والمعصية والضلال، ولا يتحصل إلا بالعلم واليقين والعمل الصالح.

وينبغي التنبيه هنا على أن التقليد لمن يثبت صدقه عقلاً؛ مثل: الأنبياء الكرام والأوصياء المطهرين عليهم السلام في المسائل التفصيلية الدقيقة في أصول العقيدة، والمسائل العقائدية الفرعية؛ مثل: البداء والشفاعة والقضاء والقدر والعرش والكرسي ونحو ذلك، لا يعد مذموماً؛ عقلاً وشرعاً، بل هو من سيرة العقلاء، ومبرهن عليه عقلاً. لأنه بعد ثبوت صدق النبوة والإمامة الإلهية، يثبت صدق قول النبي والإمام وعصمته، والأخذ بقول من يثبت صدقه عقلاً، موافق لحكم العقل قطعاً، وقد ثبت بالدليل

البرهاني وبالتجربة: أن أقوال المعصومين هي امتداد طولي لنور العقل، وليست في عرضها، وليس فيها ما يخالف العقل، بل تثير دفائن العقول، وتبصّرها من المسائل الدقيقة والبعيدة عنها ما لم تكن لتبصرها ابتداءً ومن تلقاء نفسها، يقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «فبعث فيهم رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ، لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ، وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ: مِنْ سَقْف فَوْقَهُمْ مَرْفُوع، وَمِهَاد تَحْتَهُمْ مَوْضُوع، وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ، وَآجَال تُفْنِيهِمْ، وَأَوْصَاب تُهْرِمُهُمْ، وَأَحْدَاث تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ»[1].

الإيمان الواعي حقيقة

وأعتقد بأن مجرد استناد الإيمان إلى العلم والدليل الصحيح، لا يجعل منه إيماناً واعياً كاملاً حقيقة، ما لم يحصل معه العلم بحقيقة الإيمان نفسه ومقتضياته، ويقترن بالعمل الصالح، أي: يصبح السلوك وتصبح المواقف والعلاقات كلها انعكاسات لأنوار الإيمان، وتجليات وتجسيدات لحقائقه وترجمة له وتعبيراً فعلياً عنه. فمجرد العلم بالشيء والجزم بكونه حقاً لا يكفي في حصول الإيمان، قول الله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[2] أي: أنكروا بألسنتهم وخالفوا في سلوكهم ومواقفهم وعلاقاتهم، ما تيقنوا صحته في قلوبهم وقرار أنفسهم، فلم يكن إنكارهم، ولم تكن لمخالفتهم عن جهل أو شك، وإنما عن علم ويقين بصحة ما أنكروا وخالفوه، ظلماً منهم للحقيقة ولأنفسهم، وخروجاً منهم

١. النهج. الخطبة: ١

٢. النمل: ١٤

على المنطق السليم ووظائف الإنسانية، بسبب العناد والتكبر على الحق وأهله والاستعلاء والتمنع عن الانقياد للرسل الكرام عليهم السلام. وعليه: لابد من الالتزام بمقتضى العلم بحيث تترتب عليه آثاره العملية حتى يصدق عليه الإيمان، أما إذا جهل العالم بحقيقة الإيمان ومقتضياته، وانفصمت العلاقة الوجودية والوجدانية والمنطقية بين العلم وبين السلوك والمواقف والعلاقات ولم يقترن العلم بالعمل، فإن الإيمان يكون ناقصاً وغير حقيقي، ويكون صاحبه عالماً مقلداً للعلماء ومتبعاً لهم في فنهم وصناعتهم واستدلالاتهم ومنهجهم، لكنه ليس بمؤمن واعٍ بحقيقة الإيمان، فلا تحصل حقيقة الإيمان ويكتمل بالعلم والاستدلال الصحيح وحدهما، بل يجب أن يقترنا بالعمل الصالح والأفعال الخيرة النافعة للبشرية، ويدل على ذلك، قول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[1] فالآية رد على أهل الكتاب: اليهود والنصارى الذين جادلوا وأكثروا الكلام في شأن القبلة عند تحويل الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله قبلته في الصلاة بأمر الله سبحانه وتعالى من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، بتاريخ ١٥ رجب ٢ هجرية، وفي الآية تأكيد على أن حقيقة الإيمان وكماله هو التصديق القلبي بأصول العقيدة: التوحيد والنبوة والمعاد، والإتيان بالطاعات: الواجبات والمستحبات المذكورة في الآية الشريفة المباركة

١. البقرة: ١٧٧

وترك المحرمات، وأن الذين جمعوا تلك الصفات الحميدة الممدوحة في العقيدة والأخلاق والسلوك، هم الأبرار أهل المرتبة العالية في الإيمان، الجادون في الدين، الذين صدقوا في ادعائهم الإيمان، وأوصلوا الإيمان إلى مدلولاته الواقعية في حركة الحياة، وهم المتقون ربهم والعاشقون له بحق وحقيقة، الملتزمون بالإطار التكليفي الذي شرعه لهم لحمايتهم من الشقاء الحقيقي والهلاك الفعلي في الدارين: الدنيا والآخرة، وإيصالهم إلى كمالهم اللائق بهم والمقدر لهم وإلى سعادتهم الحقيقية الكاملة في الدارين وفوزهم برضوانه، والزلفى لديه، ونعيم الآخرة، وذلك بما استجمعوا من الخصال والصفات الحميدة: الإيمان الخالص والأخلاق الفاضلة والخصال الحسنة والأعمال الصالحة، وتركوا المحظور المنهي عنه، ويدل عليه أيضاً الحديث النبوي الشريف: «الإيمان معرفة بالقلب وقول باللسان وعمل بالأركان»[1] وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «الإيمان عمل كله والقول بعض ذلك العمل بفرض من الله بينه في كتابه ... فمن لقى الله عزوجل عليها لقى الله عزوجل مستكملاً لإيمانه وهو من أهل الجنة ومن خان في شيء منها أو تعدى ما أمر الله عزوجل فيها لقى الله عزوجل ناقص الإيمان»[2].

نتائج مهمة

نتوصل مما سبق إلى النتائج المهمة التالية:

خطأ الذين عرّفوا الإيمان بأنه التصديق الذي يطمئن له القلب من

١. كنز العمال، الحديث:٢

٢. الكافي، جزء:٢، صفحة:٣٩

دون أن يؤيده أو يكذبه برهان أو تجربة ومشاهدة حسية، في مقابل العلم الذي يستند إلى أدلة وبراهين صحيحة وكافية: عقلية أو تجريبية، فما وصفوه بالإيمان هو في الحقيقة خرافة يرفضها العقل والمنطق والفطرة والطبع السليم ويبرأ منها الدين الإلهي الحق. وخطأ الذين قالوا: إن الإيمان يستند إلى أسباب ذاتية، في مقابل اليقين الذي يستند إلى أسباب موضوعية كافية. فالدين الإلهي الحق، مؤلف من عقائد يجب تحصيل اليقين في أصولها استناداً إلى الدليل الموضوعي الظاهر والبرهان العقلي الصحيح، ولا يجوز فيها التقليد، ولا يقبل فيها الشك والريب، بل يجب إزالته بالدليل الموضوعي والبرهان الصحيح، لكي تصح العقيدة ويقبل الإيمان، وشريعة تشتمل على أحكام العبادات والمعاملات وآدابها، وهي مأخوذة من الوحي الإلهي المنزل على الأنبياء الكرام عليهم السلام الثابت صدقهم بالدليل الحسي الظاهر والبرهان الصحيح، ويعتبر اتباعهم والأخذ منهم اتباعاً للعلم والعقل والمنطق والبرهان الصحيح، وعلى مثله تقوم الحضارة والاجتماع الإنساني برمته، استناداً إلى المنطق والفطرة والطبع السليم. فقد جرت سيرة العقلاء في العالم على طول التاريخ وعرض الجغرافيا على أن يستقل كل إنسان بالبحث وتحصيل العلم والخبرة والمهارة فيما يخصه، ويتبع غيره الذين يطمئن إليهم بالبحث وتحصيل العلم والخبرة والمهارة فيما يخصه، ويتبع غيره الذين يطمئن إليهم من أهل العلم والخبرة والمهارة فيما ليس في وسعه تحصيل العلم والخبرة والمهارة فيه، وعلى ذلك تتعدد التخصصات العلمية والمهنية والحرفية؛ مثل: الزراعة والنجارة والحدادة والتجارة والطب والهندسة ونحوها، وعلى ذلك قامت الحضارات والمجتمعات

البشرية وتطورت وازدهرت، وهو أمر منطقي وعملي سليم، وفيه ركون إلى الدليل الإجمالي، وتقتضيه متطلبات الحياة العديدة التي لا نهاية لها ولا عدد، لأن تحصيل العلم والخبرة والمهارة في جميع التخصصات والمهن والمتطلبات أمر فوق طاقة الإنسان، لا سيما في عصرنا الراهن الذي تشعبت فيه العلوم واتسعت؛ أي: كلما تطورت العلوم والحضارة، كلما اعتمد البشر أكثر على التخصص، فيستقل الإنسان بالبحث وتحصيل العلم والخبرة والمهارة فيما تخصص فيه، ويتبع غيره الذين يطمئن إليهم ويعتمد عليهم في التخصصات الأخرى، ومخالفته أمر مخالف للعقل والمنطق ومعطل لمسيرة التقدم والتكامل الحضاري للمجتمعات البشرية، ويصيبها بالشلل التام ويقضى عليها حتماً ويمحوها من صفحة التاريخ والوجود.

ربما يجامع العلم بالتوحيد والنبوة والمعاد الكفرَ، قول الله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[1] فالذي يحصل له العلم الصحيح بالتوحيد والنبوة والمعاد عن طريق الدليل الظاهر والبرهان الصحيح ويلتزم بمقتضاه، يسمى: مؤمناً، والذي يحصل له العلم الصحيح بالتوحيد والنبوة والمعاد عن طريق الدليل الظاهر والبرهان الصحيح ولم يلتزم بمقتضاه، يسمى: عالماً وليس بمؤمن، كما هو حال الكثير من المستشرقين والذين يشتغلون بعلم الأديان وغيرهم.

إن الإيمان لا يكون مصحوباً دائماً بالعمل بمقتضاه، فقد يكون الإنسان مؤمناً بقلبه، ولكنه يعصى الله ﷻ فيما يأمر به وينهى عنه، ولا

١. النمل: ١٤

يراعي محارمه ومقدساته، ويسمى صاحب هذا الحال فاسقاً، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[1] فلم يكتفِ بذكر الإيمان بل قرنه بالتقوى، مما يدل على إمكان افتراقهما. وقد اعتبر القرآن الكريم الذين يفرقون بين الإيمان وبين العمل بمقتضاه، ليسوا بمؤمنين حقيقة، قال الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾[2] وعليه: لا ثواب على الإيمان المجرد من فعل الخيرات وعمل الصالحات، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾[3] أما من آمن ولم يعمل بمقتضى إيمانه فهو ليس مشمولاً بهذا الوعد، وقال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[4] أي: في الإيمان والطاعة وعمل الصالحات رجاء أن تشمل العبد الرحمة الإلهية، أما مجرد الإيمان، فليس فيه ذلك الرجاء. وغير ذلك من الآيات والأحاديث الشريفة كثير جداً.

---

١. البقرة: ١٠٣

٢. النور: ٤٧

٣. الكهف: ٨٨

٤. النور: ٥٦

عزم الأمور

قول الله تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[1]

بيان المفردات

الصبر: التجلد وحسن الاحتمال وترك الشكوى وضبط النفس وحبسها على ما يقتضيه العقل والشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه. ويطلق على الشجاعة، ويقابله: الجبن، وكظم الغيظ ورحابة الصدر، ويقابله: الضجر، وعلى الكتمان، ويقابله: البذل، وعلى الصوم لما فيه من حبس النفس عن الطعام والشراب والنكاح وسائر المفطرات، وعلى الانتظار لأنه لا ينفك عن الصبر، وغيره.

أ. وينقسم الصبر إلى أقسام عديدة، منها:

ب. صبر بدني؛ مثل: الصبر على الألم، وصبر نفسي؛ مثل: الصبر عن الشهوات.

---

١. الشورى: ٤٣

ج. صبر عما تحب النفس؛ مثل: الصبر عن الشهوات، وصبر على ما تكره؛ مثل: الصبر على المكروه.

صبر على الطاعة؛ مثل: الصبر على الصلاة والصيام، وصبر عن المعصية؛ مثل: ترك الزنا والربا وشرب الخمر، وصبر عند البلاء وهو حبس النفس على المكروه وعدم إظهار الجزع امتثالاً لأمر الله سبحانه وتعالى.

ويعد الصبر من أفضل الخصال وأجل الطاعات، ويقابله: الجزع والهلع، وقد اعتبره المتصوفة من خواص الإنسان الكامل، وقالوا: هو أعظم رتبة من الحب والأمل والرجاء.

واصبروا وصابروا: احبسوا أنفسكم على الطاعة وترك المعصية وعدم الجزع عند البلاء، وجاهدوا أهواءكم، وغالبوا عدوكم، ونحو ذلك.

واصطبر: تحمل الصبر بجهدك؛ أي: إضافة القصد والتصرف إلى الصبر واصطبر على الصلاة: احمل نفسك على الصلاة ومشاقها، وإن نازعتك نفسك إلى تركها طلباً للراحة أو السهو عنها فاقهرها واقصد الصلاة مبالغاً في الصبر حتى تكون المحافظة عليها وإقامتها ملكة لك.

وتصبر: تكلف الصبر.

وصبّره: طلب منه أن يصبر، وحمله على الصبر.

والصابر: الذي يصبر، والجمع: الصابرون.

والصبور: القادر على الصبر في السراء والضراء والغناء والفاقة

والعافية والبلاء، ونحو ذلك. والصبور من أسماء الله الحسنى، ومعناه: الذي لا يعاجل العصاة بعقوبة لاستغنائه عن التسرع، فإنما يعجل من يخاف الفوت، وينزل الأمور بقدر معلوم: لا يؤخرها عن آجالها المقدرة لها تأخير تكاسل، ولا يقدمها تقديم مستعجل، بل ينزلها في أوانها على الوجه الذي يجب أن يكون الموافق للحكمة والمصلحة التامة.

والصبار: الشديد الصبر، والذي في صبره نوع من التكلف والمجاهدة.

ويمين الصبر: اليمين التي يحبس من أجلها فيصبر ولا يحدث إلا بعد التداعي.

والمصبور: المحبوس للقتل.

والصبر: السحاب الأبيض الذي لا يمطر.

والكأس المصبرة: المملوءة.

الغفر: الستر والتغطية، واللباس ما يصون عن الدنس. وغفر المريض: نكس. وغفر العاشق: عادة ما كان يعتاده بعد السلوة. وغفر له: تجافى عنه في الظاهر وإن لم يتجاف عنه في الباطن. والمغفرة والغفران من الله: أن يستر على ذنوب عبده ويعفو عنه، وأن يصون العبد أن يمسه العذاب. واغفروا الأمر بغفرته: استروه بما يجب أن يستر به.

والغافر: من يغفر، ومن أسماء الله الحسنى، ومعناه: الساتر لذنوب عباده وعيوبهم، والمتجاوز عن خطاياهم.

والغفـار: مـن صيـغ المبالغـة؛ أي: كثيـر الغفـران، ومـن أسـماء الله الحسـنى، ومعنـاه: تكثـر مغفرتـه وتتكـرر منـه كلمـا تكـرر مـن العبـد التوبـة.

والغفيـرة: الغفـران والكثـرة والزيـادة فـي الـرزق أو العمـر أو الولـد أو غيـر ذلـك، ومـا يصلـح بـه الشـيء. ومـا عندهـم غفيـرة: لا يغفـرون ذنبـاً لأحـد.

الاسـتغفار: صيغـة اسـتفعال، بمعنـى: طلـب المغفـرة بالمقـال والفعـال، وهـو مـن أعظـم الطاعـات.

والمغفـر: بيضـة الحديـد تنسـج علـى قـدر الـرأس ويلبسـها المحـارب تحـت القلنسـوة.

والغفـارة: خرقـة تلبسـها المـرأة فتغطـي رأسـها: مـا قبـل منـه ومـا دبـر، وسـحابة فـوق سـحابة.

العـزم والعزيمـة: عقـد القلـب علـى إمضـاء الأمـر وفعلـه، أو الإرادة القويـة المؤكـدة والتصميـم لإيجـاد عمـل معيـن، والجمـع: العزائـم. ولـم يجـد لـه عزمـاً: لـم نجـد لـه جـداً وقصـداً مؤكـداً وإصـراراً علـى المضـي قدمـاً فيمـا أمـر بـه. وعـزم فـلان: اجتهـد وجـد فـي أمـره. وعزائـم الله: موجباتـه التـي أوجبهـا علـى عبـاده، والأمـور المقطـوع عليهـا التـي لا ريـب فيهـا ولا شـك ولا شـبهة عليهـا ولا تأويـل لهـا ولا نسـخ. وعزائـم المغفـرة: محتماتهـا.

وعزائـم الأمـور: الأمـور المهمـة جـداً وأحسـن الأمـور التـي يحسـن العـزم والتصميـم علـى فعلهـا وقـد أمـر الله سـبحانه وتعالـى بهـا عبـاده وحثهـم عليهـا، والتـي تحتـاج إلـى الرويـة والفكـر وإعمـال النظـر فيهـا، ولا يوفـق لهـا إلا أولـوا الألبـاب وأصحـاب البصائـر والهمـم العاليـة وأهـل الحظـوظ العظيمـة الذيـن

هداهم الله تبارك وتعالى لفضله وأفاض عليهم من نوره ورحمته الواسعة.

ويعتبر العزم مرحلة من مراحل الفعل الإرادي التام، والنهاية الطبيعية للتفكير في الأسباب الداعية إلى الفعل، فإذا اندفع الإنسان إلى الفعل اندفاعاً تلقائياً بلا فكر أو روية، أو فكر في الأمر تفكيراً ناقصاً، لم يكن ذا عزم، وعليه: فالعزم لا يستعمل إلا في المواطن التي يكون فيها الفعل مسبوقاً بالفكر والروية.

وذو العزم: الذي يقرن الفكر بالعمل فلا يكتفي بمجرد التفكير في الأمر، بل يقرنه بالإقدام على العمل، ولا يخالف قوله وقناعته، وكلما ضاقت الفجوة بين القول والقناعة وبين العمل، كان الإنسان أكمل، ولا يشتغل بالأوهام والتخيلات الفارغة والأمور التافهة والحقيرة، وإذا اتخذ قراراً صائباً، لا يبدله إلا لأسباب موضوعية واقعية وجيهة، ويقابلهم: أصحاب الأرواح الضعيفة الذين يخضعون للضغوط: الترهيب، والترغيب، ويتبعون الأهواء والشهوات والملذات الحسية، ويكلّون ويتراجعون تحت تأثير المجاملة أو لطول المدة ونحو ذلك.

وأولي العزم من الرسل: خمسة من الرسل العظام عليهم السلام وهم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم الذين عزموا على أمر الله ﷻ فيما عهد إليهم ويتصفون بالجد والصبر والثبات وقوة الشكيمة، ولكل واحد منهم كتاب وشريعة، وقد اجتهدوا وثابروا وصبروا وضحوا في سبيل تأسيس شرائعهم وتقريرها، وصبروا على تحمل مشاق الدعوة ومعاداة الطاعنين فيها وأذاهم، وبعثوا إلى مشارق الأرض ومغاربها، جنها وإنسها، في الدورة الرسالية والأمد المقدر لرسالتهم عند

الله سبحانه وتعالى.

والعوازم: جمع عزمة، وهي الأمور الثابتة بالكتاب والسنة والعقل والمنطق والاستدلال والبرهان الصحيح.

الأمر: الحال والشأن، وهو لفظ عام يجمع الأقوال والأفعال كلها؛ قال الله تعالى: ﴿وَما أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾[1]؛ أي: أقواله وأفعاله، والجمع: الأمور. والأمر: طلب حصول الشيء بالقول، مثل: اذهب واجلس، أو بالإشارة أو غير ذلك.

والائتمار: قبول الأمر، والتشاور.

والأمرة: الولاية.

والتأمير: توليه الإمارة.

وأولي الأمر: الأئمة والحكام والحكماء (الفقهاء) والوعاظ، وقيل: الأئمة حكمهم نافذ على ظاهر العامة والخاصة وباطنهم، والحكام أمرهم نافذ على ظاهر العامة والخاصة دون باطنهم، والحكام (الفقهاء) حكمهم نافذ على باطن الخاصة دون ظاهرهم، والوعاظ حكمهم نافذ على باطن العامة دون ظاهرهم.

وعزائم الأمور: سبق بيانها في مفردة العزم.

---

١. هود: ٩٧

المعنى الإجمالي والمضامين العامة للآية

إن الصبر على الأذى، وتسامح الإنسان وعفوه عمن ظلمه وأخطأ عليه، بعد القدرة عليه والتمكن من أخذ حقه منه، حيث يحسن الصبر والمغفرة ويعدان من الفضائل والأفعال الحميدة، من عزائم الأمور التي ينبغي التحلي بها والثبات عليها وتدل على كمال صاحبها وسمو نفسه ورقيها وصلاحها، وعلى كمال الإيمان وتحكم العقل وأحكام الشريعة وآدابها في قوى النفس وقيادتها وحسن تدبيرها، والتغلب على الأهواء والرغبات والشهوات والنزوات النفسية، الأمر الذي يحتاج إلى البصيرة ووضوح الرؤية والتحلي بالحلم والسماحة وسعة الصدر، وإلى التصميم والحزم وقوة الإرادة ونفوذها؛ لأن ترك الانتصار للنفس بالقول أو الفعل، ومقابلة الأذى والإساءة بالإحسان إلى المسيء، ورأى آثارها العظيمة النورانية في نفسه، ابتهج بها وتلقاها بالسرور وسعة الصدر والترحاب.

وفي المقابل: ينبغي الحذر الشديد من الانطلاق من الأهواء والثروات، والجري وراء غريزة حب الانتقام، والسعي لإرضاء النفس الأمارة بالسوء، وترك التسامح وعدم قبول الأعذار، والعمل بالظن السيئ ونحوه، فإنه دليل على النقص وضعف الروح وظلمانية النفس وكدارتها وانفلات زمامها وعدم القدرة على ضبطها وإصلاحها وتهذيبها.

والآية الشريفة المباركة: دليل على فضيلة الصبر على الأذى والعفو والتسامح، وأنها من الأمور المهمة جداً وأحسنها التي يحسن العزم والتصميم عليها، وأنها من الأمور الشريفة النفيسة التي أمر الله تبارك وتعالى بها عباده وحثهم على فعلها لشرفها ونفاستها وآثارها الطيبة على

الشخص وعلى المجتمع. وفعلها والثبات عليها يحتاج إلى بصيرة ووضوح في الرؤية، وإلى الروية وإعمال النظر، ولا يوفق إليها إلا أولوا الألباب وأصحاب الهمم العالية والحظوظ العظيمة الذين هداهم الله تبارك وتعالى لفضله وأفاض عليهم من نوره وواسع رحمته.

وقد ذكر في الآية الشريفة المباركة الصبر قبل الغفران، وتلك إشارة إلى أنه مع عدم الصبر لا يمكن أن يحصل الغفران، حيث تسيطر الأهواء والنزوات على النفس وتتجاذبها وتضعف سيطرة العقل عليها، فيميل الإنسان إلى الانتقام، ويحرم من فضيلة العفو والتسامح.

حق الأفراد والمجتمع في العفو

هنا تنبغي الإشارة إلى ضرورة التمييز بين حق الأفراد وحق المجتمع في العفو وبين الظلم الذي يقع على الأفراد والظلم الذي يقع على المجتمع. فصبر الأفراد وعفوهم عمن ظلمهم فضيلة ومن عزائم الأمور، ولكن العفو عن الظلم الاجتماعي العام فقد لا يعد فضيلة، لما يترتب عليه من الإخلال بالتوازن ونشر الفساد في الأرض وتعطيل حركة التكامل والتطور الحضاري في المجتمع، ولا يملك الحق فيه إلا المجتمع نفسه وولي الأمر الشرعي (الحاكم الشرعي)، وقد نهى القرآن الكريم عن السكوت عن الظلم الاجتماعي العام؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾[1]؛ أي: لا تميلوا وتطمئنوا وتسكنوا اليهم بمودة أو طاعة، ولا تصاحبوهم وتسكتوا عن ظلمهم وتعتمدوا عليهم في تدبير أموركم وشؤونكم وتظهروا الرضا

١. هود: ١١٣

لفعلهم وتداهنوهم وتحبوا بقاءهم، فضلاً عن مساعدتهم وتحسين طريقهم وسياستهم وتزيينها وإضفاء الشرعية؛ الدينية والسياسية على أفعالهم وطريقتهم وسياستهم الظالمة والجائرة عن الحق والصواب. لا تفعلوا ذلك مهما كانت قوتهم وشدة بأسهم وبطشهم، فتكون عاقبتكم الشقاء والهلاك في الدنيا، وتمسكهم النار في الآخرة، وليس لكم من دون الله سبحانه وتعالى من أولياء لهم عليكم حق الطاعة والاتباع بشكل مستقل عنه، أو أولياء تدعونهم فيستجيبوا لكم، أو تستغيثون بهم فيغيثوكم، أو تستصرخونهم فينصروكم وينقذوكم، أوليس لكم شفيع يشفع لكم أو نصير ينصركم وينقذكم من عذاب يوم القيامة حين تمسك نار جهنم الحامية، ولا تجدون مجيباً يجيب دعواتكم إلا الله ﷻ، والله سبحانه وتعالى لا يجيبكم ولا ينصركم بسبب أعمالكم السيئة، فيؤول أمركم إلى الخذلان والخسران المبين ولا دافع له يدفعه عنكم، وما سبق يدل على أن العقوبة على الظلم لا تقتصر على الظالمين وحدهم بل تشمل أيضاً الراضين بظلمهم والمساعدين لهم بالأقوال والأفعال والساكتين عن ظلمهم، ولم يسعوا ليغيروا عليهم، وفي الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام: «العامل بالظلم والمعين عليه والراضي به شركاء ثلاثتهم»[1] وذلك لأن السكوت على ظلم الظالمين، وترك السعي في التغيير عليهم، يؤدي إلى اضمحلال مفهوم قبح الظلم ويظهر الرغبة فيه، والإقرار بظلم الظالمين وترسيخه وتقوية الظالمين وملكهم وسلطانهم، والمساهمة غير المباشرة في ظلمهم وتنفيذ مخططاتهم، وانتشار المنكر والفساد والعدوان والتفكك والتحلل والانحطاط الحضاري والتخلف والشلل في

١. الكافي، جزء:٢، صفحة: ٣٣٣

حركة التكامل الحضاري في المجتمع، لينتهي الأمر إلى شقاء الإنسان وهلاك المجتمع في عالم الدنيا، والعذاب الأليم في نار جهنم في الآخرة، وهذا مخالف لغاية خلق الإنسان ولوظائف الحياة الاجتماعية للبشرية. وعليه: تجب مقاومة الظلم، والتناصر من أجل منعه ورفعه والقضاء عليه واجتثاثه من جذوره؛ قال الله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾[1]؛ أي: الذين إذا أصابهم الظلم والعدوان من الأعداء والظلمة فإنهم لا يرضون به ولا يسكتون عليه بل يقاومونه بكل قوة وصلابة، ويستخدمون كل وسيلة مشروعة، ويطلب كل واحد منهم النصرة من الآخرين ويحثهم عليها، فيتناصرون بينهم وكأن الظلم أصابهم ووقع عليهم أجمعين، حتى يرفعوا الظلم عن أنفسهم، ويقضوا عليه، ويجتثوه من جذوره، وهذه فضيلة حميدة يتحلى بها الصالحون، وليس العجز والضعف من صفات المؤمنين، والمهانة والذلة ليست من خصالهم، وهم ليسوا طعمة لكل راغب، ولا مطية لكل راكب، بل يستميتون ويصبرون ويضحون من أجل إنسانيتهم وحريتهم وكرامتهم وحياضهم وديارهم وكافة حقوقهم المشروعة في الحياة، ولا يسمحون لأحد بأن ينتهكها ويسلبهم إياها، وهذا ما يدعوهم إليه العقل والمنطق والدين والإنسانية.

الحالات التي يصح فيها التسامح عن الظلم الاجتماعي

للمجتمع أن يتسامح مع الجناة الظالمين الذين مارسوا الظلم الاجتماعي العام على الناس، بعد القضاء على الظلم وليس قبله، لأن

١. الشورى: ٣٩

التسامح لا يكون إلا بعد التمكن والمقدرة، وقبل التمكن قد يُظن أن عجز وذلة، ويؤدي إلى رسوخ الظلم وتقوية الظالمين، وأن يكون العفو فيما يعرف اليوم بالعدالة الانتقالية بعد الثورات وحركات التغيير الشعبية، حين تقتضي المصلحة العامة ذلك؛ مثل: الحاجة إلى الاستقرار وإلى تجاوز الأزمة والقضاء على الفتنة ونحو ذلك. ولولي الأمر الشرعي (الحاكم الشرعي) أن يعفو كذلك حين يرى ويشخص أن المصلحة العامة في ذلك.

نتائج مهمة

ونتوصل مما سبق إلى النتائج المهمة التالية:

إن الدعوة إلى الصبر على الأذى والتسامح مع الجناة والمخطئين، ليس الهدف منهما الإبطال لحق الانتصار، فهو حق ثابت: عقلاً وشرعاً في جميع الأحوال، ولكن الهدف هو الإشارة إلى فضيلة روحية عظيمة تسهم في رقي الإنسان وسموه ووصوله إلى كماله الإنساني المقدر له واللائق به، وقول الله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[1]؛ أي: أن كل فعل سيئ له جزاء سيئ يوافقه من غير ظلم أو تعد، وهذا هو العدل، وهو حق ثابت؛ عقلاً وشرعاً ولا سبيل إلى ذم من يمارس هذا الحق المشروع ولا معاتبته أو معاقبته، إنما الذم والعتاب

١. الشورى: ٤٠-٤٣

والعقاب على الجائرين الذين يظلمون الناس، ويتعدون على النفوس والأموال، وينتهكون الحقوق والحرمات والمقدسات، ويفسدون في الأرض بطغيانهم وتجبرهم، فهؤلاء الجناة العصاة يستحقون العقاب الأليم الموجع للقلوب والأبدان بحسب ظلمهم وبغيهم في الدنيا والآخرة، وهو ينتظرهم بدون شك ولا ريب، ولا يملكون منه مهرباً ولا نجاة. إلا أن هذا الحق الثابت؛ عقلاً وشرعاً والموافق للفطرة والطبع السليم، ويقتضيه الأمن والاستقرار ومتطلبات الحياة في المجتمعات البشرية لا يلغي فضيلة العفو والتسامح، التي هي أقرب إلى حقيقة الإيمان وكماله وإلى حقيقة التقوى والمحبة لله ذي الجلال والإكرام، بشرط أن يصب في الإصلاح ولا يؤدي إلى مفسدة؛ مثل: تشجيع الجناة على الاستعلاء والاستمرار في جرائمهم، بدلاً من أن يحرك وجدانهم ويستثير مشاعرهم الخيرة ويحيي ضمائرهم ويردهم عن جرائمهم ويشجعهم على الندم والتوبة والكف عن الظلم والبغي والسير في طريق الخير والصلاح، ويعد ذلك العفو والتسامح أو تلك الفضيلة العظيمة خير للمتسامح في نفسه ودينه ودنياه وآخرته من الانتقام والانتصار؛ لأنه يسمو بنفسه ويزكيها ويطهرها من الأدناس التي تلوثها ويصفيها من الكدارة وينورها من الظلمة، ويوصله إلى كماله الإنساني المقدر له واللائق به، وفي الآخرة يفوز بالرضوان الإلهي والأجر العظيم والنعيم المقيم الذي لا زوال له ولا اضمحلال في الجنة. وفضيلة العفو والتسامح هي بحق وحقيقة من عزائم الأمور التي تحتاج إلى بصيرة ورؤية واضحة في الأمور والحياة وإلى قوة إرادة، وقد أمر الله تبارك وتعالى بها وحثنا عليها ورغبنا فيها، فيجدر بنا الصبر والثبات عليها، وقيل: إن جعل أجر العافي والمتسامح وثوابه

على الله تبارك وتعالى، قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾[1] مما يهيج المشاعر على العفو ويدفع إليه بشوق وحرقة. فالتعبير يدل على عظيم الأجر والثواب، ويشير إلى موافقة الجزاء للعمل، ويحث العبد على أن يعامل الناس كما يحب أن يعامله الله تبارك وتعالى، فيعفو عنهم كما يحب أن يعفو الله تعالى عنه، ويسامحهم كما يحب أن يسامحه الله تعالى، ولن يكون أفضل ولا أكثر إحساناً من الله سبحانه وتعالى.

إن الغاية من الدعوة إلى الصبر على الأذى والعفو والتسامح هو الرقي والسمو بالنفس والمجتمع وصلاحهما، فلا يجوز جعلها وسيلة للإذلال والفساد والتخلف والتحلل والانحطاط ونحو ذلك. وعليه: تجب مقاومة الظلم الاجتماعي حتى يتم القضاء عليه واجتثاثه، ولا يكون العفو والتسامح إلا بعد التمكن والقدرة، ولو كان العفو عن الجاني يحمله على البغي والطغيان ويشجعه على الاستعلاء والتمرد والفساد ويبقى على الظلم ونحو ذلك، فلا يحسن العفو بل يحسن الرد ومعاقبته والانتصار منه وعدم السكوت عليه.

---

١. الشورى: ٤٠

النفاذ في الأمور

بيان المفردات

النفاذ: جواز الشيء أو الخلوص منه، فيقال: نفذ من الممر. ويطلق على الاختراق، فيقال: نفذ المسمار في الخشب أو نفذ السهم في البدن، وعلى الإمضاء، فيقال: أنفذ الأبناء وصية الأب.

وأمره نافذ: أمره مطاع.

وطريق نافذ: طريق سالك.

ونافذ في أمره: ماض فيه.

والمنفذ: الممر وموضع نفوذ الشيء.

الأمر: سبق بيانه.

النفاذ في الأمور

يعد من الفضائل الفذة في الشخصية الإنسانية، ومن صفات الأنبياء

الكرام والأوصياء المطهرون عليهم السلام والعباد الصالحون وأصحاب العزائم الثابتة، وأحد مؤهلاتهم الرئيسية، ويعني: إمضاء الأمور الإلهية والمهمة، والنهوض بالمسؤوليات وعدم تعطيلها والتخلي عنها، والتحلي بالجد والصبر والمثابرة والثبات وقوة الشكيمة والإيثار والتضحية وقرن الأقوال بالأفعال وعدم التراجع عن القرارات الصائبة بسبب الضعف النفسي والروحي وتحت تأثير الترهيب والترغيب والمجاملة والكلل ونحو ذلك، الأمر الذي يحتاج إلى البصيرة ووضوح الرؤية وضبط النفس وتهذيبها وإلى الحزم الذي يعني ضبط الأمر وإتقانه والحذر من فواته، وإلى الثبات والصمود وقوة الإرادة والتأييد والتسديد الإلهي، ونحوه.

نتائج مهمة

وتترتب على النفاذ في الأمور أمور عديدة، منها:

أ. المبادرة إلى الطاعات وفعل الخيرات وعمل الصالحات والنهوض بالمسؤوليات: الخاصة والعامة، وترك الاشتغال بالأمور الحقيرة والتافهة.

ب. الثبات على الحق والصواب وعدم التراجع عن القرارات الصائبة إلا لأسباب موضوعية وجيهة كافية.

ج. العمل بمقتضى العمل والبصيرة وعدم مخالفتهما، وقرن العمل بالأقوال فلا تخالف أفعاله أقواله، وعدم الاكتفاء بمجرد التفكير والتنظير، بل يفكر من أجل أن يعمل ويسعى ويكدح وينمو يسمو ويتربى ويرتقي ويتكامل: معرفياً وروحياً ويستقيم على

الطريقة الوسطى والصراط المستقيم والنهج القويم في الحياة.

العوائق التي تمنع النفاذ في الأمور

هناك مجموعة عوائق تمنع النفاذ في الأمور، وتحمل الإنسان على التراجع والتراخي ومخالفة ما يعتقد أنه حق وصواب وفضيلة، منها:

أ. ضعف البصيرة واليقين وغياب الرؤية الواضحة للأمور وشؤون الحياة والمعارف.

ب. ضعف الإرادة وغياب الحزم للصمود أمام الضغوط: الترهيب والترغيب والكلل بسبب طول المدة ونحوها فيحصل التراجع عن القرارات الصائبة والقناعات الثابتة والتراخي والخمول والكسل.

ج. ضعف الروح الذي يسمح لتأثير الإيحاء والمجاملة والإثارة وطول المدة أن يمر، فيحدث التراجع والتراخي لأسباب ذاتية نفسية بحتة لا علاقة لها بالمصلحة الفعلية والأسباب الموضوعية كما هو دأب أصحاب الأرواح الضعيفة الذين يفتقرون لعزم الإرادة دائماً.

د. إشاعة الأمر وترك الكتمان، بحيث يعرف الأعداء والفضوليون بالأمر، ويطلعون على تفاصيله وأسراره، فيشوشون عليه ويسعون لإحباطه والقضاء عليه عن قصد عند الأعداء، ويسبب الفضول عند الفضوليين، وفي الحديث الشريف عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «الصمت حكم، والسكوت سلامة، والكتمان

طرف من السعادة»[1] وفي الحديث النبوي الشريف: «طوبى لعبد نومة، عرفه الله ولم يعرفه الناس، أولئك مصابيح الهدى وينابيع العلم، ينجلي عنهم كل فتنة مظلمة، ليسوا بالمذاييع البذر، ولا بالجفاة المرائين»[2] وقد عرَّف الإمام علي بن أبي طالب النومة بقوله: عرف الناس ولم يعرف الناس، والذي لا يدري الناس ما في نفسه، وعرَّفه الإمام الصادق بقوله: عرف الناس فصاحبهم ببدنه ولم يصاحبهم في أعمالهم بقلبه، فعرفهم في الظاهر ولم يعرفوه في الباطن، وفي قول آخر: عرف الناس قبل معرفتهم به.

وقفة مع دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام

يقول الإمام زين العابدين: «اللهمّ صلّ على محمد وآله، وألهمني علم ما يجب لهما (الوالدين) عليَّ لهما، واجمع لي علم ذلك كله تماماً، ثم استعملني بما تلهمني منه، ووفقني للنفوذ فيما تبصرني من عمله، حتى لا يفوتني استعمال شيء علمتنيه، ولا تثقل أركاني عن الحفوف فيما ألهمتنيه»(٣).

في الدعاء المذكور: يسأل الإمام السجاد عليه السلام ربه بأمور عديدة، منها:

أ. أن يلهمه العلم بالواجبات والآداب كلها نحو والديه.

ب. العمل بما ألهم من العلم بالواجبات والآداب نحو والديه.

---

١. تحف العقول، ص: ٢٢٣

٢. الكافي، ج:٢، ص:٢٣٥

٣. دعائه لأبويه، الصحيفة السجادية

ج. النفوذ في القيام بأمر الواجبات والآداب وعدم تعطيلها حتى لا يفوته استعمال شيء منها.

د. أن لا يقع في براثن الموانع النفسية (الذاتية) التي تؤدي إلى تعطيل القيام بأمر الواجبات والآداب وعدم إنفاذها، مثل: الكسل والخمول والتراخي والكلل ونحو ذلك.

ودعاء الإمام زين العابدين عليه السلام يدل على أن النفوذ في القيام بالطاعات والأعمال الصالحة، يتطلب أموراً عديدة، منها:

أ. العلم واليقين والبصيرة والرؤية الواضحة في أمر الطاعات: الواجبات والآداب.

ب. التوفيق والتسديد والتأييد الإلهي للعبد.

ج. قوة الروح والإرادة وشدة العزم والحزم والتصميم لدى العبد.

وكما سبق: فإن النفاذ في الأمور من أعظم الفضائل وأجلّ الخصال وأحسنها، التي يتحلى بها الأنبياء الكرام والأوصياء المطهرون عليهم السلام والعباد الصالحون وأصحاب البصائر واليقين وذوو العزائم ومن مؤهلاتهم الرئيسية المهمة وأسس استحقاقهم، لكن الجهلة والضعفاء والمذبذبين في سلوكهم ومواقفهم وعلاقاتهم - بسبب جهلهم وضعف أرواحهم والحجاب على قلوبهم - يعدونه عناداً وتعصباً ومكابرة ونحو ذلك، ويعتبرون التراجع عن القرارات الصائبة والتذبذب والتراخي في المواقف تحت تأثير الضغوط: الترهيب والترغيب والكلل والملل والكسل لطول المدة وتعب النفس ونحوه، يعدونه مرونة وتسامحاً وواقعية

ونحو ذلك من الأوهام ووساوس الشيطان وحبائله وخدعه وقانا الله ﷻ شرها، فيجعلون الفضيلة رذيلة ويجعلون الرذيلة فضيلة، فإنا لله وإنا اليه راجعون.

سنة الاستبدال

قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾[1]، وقول الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾.[2]

بيان المفردات

السنة: الطريقة والسيرة والشريعة والقانون والطبيعة، والجمع: السنن.

والسنة في الشرع: طريقة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار من أهل البيت عليهم السلام قولاً وعملاً وتقريراً.

ومن السنة: وضعها.

ومن الطريقة: ساد فيها.

---

١. محمد: ٣٨

٢. الأنعام: ٨٩

وتسنن: عمل بالسنة واتبعها.

وسنة الله: أحكامه وأوامره ونواهيه، والفطرة التي فطر الناس والأشياء عليها، والقوانين الكونية الثابتة التي لا تتغير.

وامض على سنتك: اِمض على وجهك.

وخلت سنة الأولين: الطريقة التي سنّها الله ﷻ في إهلاك الأقوام والأمم السابقين (الماضين) بسبب عنادهم واستكبارهم على الحق وتكذيبهم الرسل عليهم السلام بغياً وعدواناً.

والاستنان: الاقتداء.

والمستن: المقتدى.

البدل والبديل: العوض، ويطلق على الكريم والشريف، والجمع: الأبدال. وبدَّل الشيء: غيره وحرفه.

وبدَل الشيء: غيره، والخَلَفُ منه، وما يقوم مقامه ويغني عنه.

وتبدل الشيء: تغير.

وتبديل الشيء: تغييره عن حاله.

والإبدال والاستبدال: جعل شيء مكان شيء آخر، أو شخص مكان شخص آخر يقوم ويغني عنه.

واستبدله بغيره: أخذه مكانه.

وقيل عن الفرق بين التبديل والإبدال: أن التبديل هو تغيير الصورة والإبقاء على الجوهر أما الإبدال فهو تغيير الشخص والجوهر.

والإبدال في الفلسفة: الألفاظ والإشارات والعلامات التي تساعد على إجراء أعمال ذهنية مختلفة من دون الحاجة إلى التفكير في الشيء المدلول عليه، مثل: الحروف التي تستعمل في علم الجبر وتقوم مقام الكميات، والألفاظ التي تنوب عن الصور الذهنية في عملية التفكير من دون أن تكون هذه الصور حاضرة في الذهن.

والأبدال: قوم من الصالحين يجعلهم الله تبارك وتعالى مكان آخرين مثلهم ماضين، لا تخلو الدنيا منهم، بهم يقيم الله ﷻ الأرض، لا يموت منهم أحد إلا قام مكانه غيره مثله، وقيل: سموا بذلك لأنهم بدلوا ملكة المعصية وأحوالهم السيئة الذميمة بملكة الطاعة وأحوالهم الصالحة المحمودة.

التولي: إذا عُدِّي بنفسه، اقتضى معنى الإقبال، فيقال: تولى الشيء: لزمه. وتولى فلانا: نصره وأحبه واتبعه واتخذه ولياً. وتولى الأمر: تقلده قام به. وولّى وجهك شطر المسجد: توجه نحوه وأقبل بوجهك عليه. وتولى كبره: ولى وزره وإشاعته. وإذا عُدِّي بعن: لفظاً أو تقديراً، اقتضى معنى الإعراض والانصراف، فيقال: تولى الشيء: أدبر وتولى عنه: أعرض وتركه. وتولى وكفر: أعرض وكفر. وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم: إن تعرضوا عن الإسلام أو ترتدوا. وتولى بركنه: أعرض بجانبه. وتولى عنهم: تنحى عنهم. والتولي: قد يكون بالجسم، وقد يكون تبرك الإصغاء والائتمار.

واستولى على فلان: ظهر عليه وتمكن منه.

واستولى على الشيء: صار في يده.

واستولى على الأمر: بلغ الغاية فيه.

واستولى على الغاية: سبق إليها.

الكون: بالمعنى العام: الوجود بعد العدم، وهو تغير دفعي لأنه لا وسط بين العدم والوجود، ويقابله: الحركة، وهي الحدوث التدريجي.

والكون بالمعنى الخاص: حصول الصورة في المادة بعد إن لم تكن حاصلة فيها، مثل: حصول صورة الإبريق من الطين، ويقابله: الفساد، وهو زوال الصورة عن المادة بعد أن كانت فيها.

والكون عند أرسطو (٣٨٤-٣٢٢ ق.م): تحول جوهر أدنى إلى جوهر أشرف وأعلى منه، مثل: تحول الكربون إلى الماس.

ويطلق الكون على الحدوث والثبوت والتحقق والإبداع والاختراع والصنع ونحو ذلك. وكان الشيء: حدث. ولا يكون: من أفعال الاستثناء، فيقال: لا يكون الآتي زيداً.

القوم: الجماعة من الناس تجمعهم جامعة يقومون بها، سُمو بذلك: لقيامهم بالعظائم والمهمات الكبيرة، وقوم الرجل أقرباؤه الذين يجتمعون معه في جد واحد.

الغير: يقال أوجه: للنفي المجرد، مثل: قولك غير مفهوم، وللاستثناء،

مثل: مالكم من إله غير الله، ولنفي الصورة من دون مادتها، مثل: بدلناهم جلوداً غيرها، وللوصف، مثل: غير الحق، أي: الباطل.

والغير في علم النفس: الأشياء الموجودة خارج الذات المدركة أو مستقلة عنها، ويسمى: اللا أنا والآخر، ويقابله: الأنا، أي: الذات المدركة.

والتغير: التبدل والانتقال.

والتغيير: يقال على وجهين: تبديل صورة الشيء دون ذاته، وتبديل الشيء بغيره.

وتغايرت الأشياء: اختلفت.

والغيرة: الدية، وأصلها المغايرة بمعنى المبادلة سميت بذلك لأنها بدل من القتل.

والغيرية: كون الشيء مختلفاً عن غيره أو كون الشيئين بحيث يتصور وجود أحدهما مع عدم الآخر، ويقابلها الهوية والعينية وهي كون المفهوم من الشيء هو عين المفهوم من الآخر.

وتطلق الغيرية على كون الطبيعة ذات وحدة أو ذات وحدات وتقابلها: الأثنينية وهي كون الطبيعة ذات وحدتين.

والغيرية في علم النفس: الميل الطبيعي إلى الغير وتقابلها المثلية وهي الميل إلى المثل أو الشبيه.

والغيرية في علم الأخلاق: الإيثار، والقول بوجوب تضحية المرء

بمصلحته الخاصة في سبيل المصلحة العامة وتقابلها الأنانية والإثارة.

والغيار: البدل من كل شيء.

والمتغاير: ما تختلف بعض إجرائه عن بعض

المِثل: الشِّبه والنظير، وهو أعم الألفاظ الموضوعة للمشابهة، فالند يقال فيم يشارك في الجوهر، والشبه يقال فيما يشارك في الكيفية، والمساوي يقال فيما يشارك في الكمية، والشكل يقال فيما يشارك في الصورة، والمثل يقال في جميع ذلك.

والمَثل: قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة، ليبين أحدهما الآخر ويصوره.

والمثل الأعلى في الفلسفة: يطلق على معنيين رئيسيين:

أ. المعنى العام (المطلق): ما يُرضي العقل والعاطفة إرضاءً كاملاً، وحركة الفكر الطبيعية إلى الحياة التامة الانسجام، والصورة الكاملة التي لا تتحقق تحققاً نهائياً بل تمثل حداً غائياً نتجه إليه من غير أن نبلغه، موجوده ليس شبيهاً بوجود الموضوع الخارجي الثابت، وإنما هو شبيه بوجود النزوع اللامتعين.

ب. المعنى الخاص (النسبي): الجامع لصفات الكمال والنموذج الذي نتصوره وننسج على منواله في بعض قضايانا النظرية والعملية.

والمثل الأعلى في الأخلاق: ما نهتم به من الأمور الأخلاقية والجمالية

والعقلية العالية من جهة ما هي غاية في بابها تجمع نفوس الأفراد وتوجههم إلى هدف واحد، وتقابله: المصالح الضيقة.

والمثال: صورة الشيء التي تمثل صفاته والقالب أو النموذج الذي يقرر على مثله، والجزئي الذي يذكر لإيضاح القاعدة وتصويرها إلى فهم المتعلم ومقابلة شيء بشيء هو نظيره، ووضع شيء ما ليتحدى به أو يقتدي فيما يفعل.

والمثالي: المنسوب إلى المثال، وصورة الشيء الكاملة، وما هو كامل في نوعه، وما يحقق الصورة الكاملة تحقيقاً تاماً، وما يتفق مع منازعنا العقلية أو الأخلاقية أو الجمالية أو العاطفية اتفاقاً كلياً، والذي يعيش في سبيل المثل العليا ويطلق تهكماً على الشخص الخيالي الذي يعيش في عالم الوهم، ويقابله: الواقعي والمادي والناقص والضيق والمنفعي ونحو ذلك.

والمثالية في الفلسفة: النزعة إلى رد كل وجود إلى الفكر بأوسع معانيه، وتقابلها: الحسية والتجريبية.

والمثالية في علم الأخلاق: المدرسة التي تقول بأن للإنسان استعداداً فطرياً يحمله على الاحتفاظ للمثل العليا بمكان ممتاز في نفسه، ومن أهم مبادئها: تحكيم الضمير في العمل الأخلاقي، والاعتماد على الفكر والعاطفة في إصلاح الأفراد والمجتمعات من شرور وفساد.

والمثالية في علم الجمال: المدرسة التي تقول بأن هدف الفن ليس مجرد محاكاة الطبيعة، وإنما هو تعبير عن مثل أعلى، أي: تمثيل

لطبيعة خيالية موافقة لمنازع الفكر، وتقابلها: الواقعية.

والمثالية الاجتماعية: المدرسة التي تقول بأن للتطور الاجتماعي منطقاً خاصاً به، وأن ازدياد شعور الإنسانية بذاتها، يجعلها قادرة على نسج مصيرها بيدها، وإبدال ما يشتمل عليه العالم الحاضر من أحوال آلية لا أخلاقية تسيطر عليها المادة والاقتصاد والمصالح، إلى أحوال أخلاقية يسيطر عليها العقل وتسودها الحرية والرشد والكرامة.

والأمثل: الأفضل والأشرف والأعلى.

والممثل: المصور على مثال غيره.

والتمثال: الشيء المصور. وتمثل بالقول: استشهد به.

التوكل: أن تعتمد على غيرك في أمورك وتجعله نائباً عنك، ويقال على وجهين: توكل له، أي: تولى. وتوكل عليه، أي: اعتمد ووكل إليه الأمر؛ سلمه له وفوضه إليه واكتفِ به فيه ثقة به.

والتوكل على الله: انقطاع العبد إليه والثقة به واليأس مما في أيدي الناس، بأن يعلم يقيناً أنه لا فاعل ولا مؤثر ولا نافع ولا ضار إلا هو أو بإذنه، ليسعى في الطلب على الوجه الجميل ويأتي بالأسباب الظاهرية (الطبيعية) المباشرة، ولا يحسب (يعتقد) أن المسبب (الحاصل) منها، ويقابله: التواكل، وهو ترك السعي وعدم الأخذ بالأسباب. وتواكل القوم: اتكل بعظهم على بعض. والمتواكل: العاجز الذي يكل أمرة إلى غيره ويتكل عليه فيه. وواكل فلان: ضيّع أمره بالاتكال على غيره.

وفلان وكلة وتكلة: يعتمد على غيره في أمره. والتكلان: الاعتماد والتفويض.

والوكيل: من تعتمد عليه في تدبير أمر ما والقائم بحفظ الشيء ودفع الضرر عنه، والذي يسعى في عمل غيره وينوب عنه فيه.

والوكيل في الاصطلاح: شخص يعمل لحساب شخص آخر بمقتضى عقد توكيل بينهما ويتعاقد باسمة الخاص. والجمع: الوكلاء.

والوكيل: من أسماء الله الحسنى، ومعناه: الكفيل بأرزاق العباد وتدبير أمورهم والقائم بمصالحهم.

والوكالة: اسم من التوكيل، ومعناها: أن يعهد إلى غيره أن يعمل له عملاً، وتطلق على عمل الوكيل ومحله.

ووكله: جعله وكيلاً عنه.

وتوكل: قَبِل الوكالة، وضمن القيام بالأمر.

المعنى الإجمالي والمضامين العامة للآيات

أولاً: قول الله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾[1]؛ أي: لقد أمر الله جل جلاله عباده بإنفاق اليسير من أموالهم في سبيل الله ﷻ وأوجه الخير والصلاح والمستحقين من إخوانهم، وفي جهاد أعداء الله جل جلاله والدين الحق والإنسانية، فوجد من يبخل عن الإنفاق ويمنع ما فرض الله عليه في ماله، بسبب حب المال والأنانية

١. محمد: ٣٨

والحرص على متاع الدنيا، ولو أمروا بإنفاق جميع أموالهم لبخل الجميع إلا من عصم الله سبحانه وتعالى، مع أن المال في الحقيقة هو مال الله والإنسان مجرد مستخلف فيه، قال الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾[1]، والإنفاق من أجل خيرهم وصلاحهم ومصلحتهم العامة: الدينية والدنيوية، ولسعادتهم في الدارين الدنيا والآخرة، وفيه عزتهم ومنعتهم وقوتهم لأنه السبيل إلى تغلبهم على أعدائهم وانتصارهم عليهم ومنع مهاجمتهم لأراضي المسلمين والسيطرة على ديارهم وأموالهم وانتهاك حقوقهم وحرماتهم ومقدساتهم، فلا يبقى لهم شأن ولا قيمة ولا شوكة ولا هيبة ولا عز ولا كرامة بين الشعوب والأمم، وفيه أيضاً الوقاية من النار ومن غضب الجبار وسخطه وهجرانه.

وعليه؛ فإن نفع الانفاق والجهاد، وضرر الإمساك عن الإنفاق والامتناع عن الجهاد عائد إلى المنفق والمجاهد نفسه، فلا يظن أحد أنهم لا ينفقون على غيرهم ولا يجاهدون من أجلهم بل لا ينفقون على أنفسهم ولا يجاهدون من أجل خيرهم وعزتهم ومنعتهم وصلاحهم وسعادتهم في الدارين، مما يدل على عدم رشدهم وعدم سداد منطقهم في التفكير وغفلتهم عن الحقائق الإلهية والسنن الاجتماعية والتاريخية، وعما فيه خيرهم وصلاحهم ومصلحتهم وسعادتهم، فضرر بخلهم وتركهم للجهاد في سبيل الله لا يتعدى أنفسهم بل يعود عليها؛ لأنهم يمنعون الخير عن أنفسهم بأن يسيروا في طريق الذل والهوان والخزي والعار والشقاء والهلاك في الدارين، ويعرّضوا أنفسهم لغضب الله جل جلالة ولسخطه وعذابه ونقماته وهجرانه، ويمنعوا عنها الأجر والثواب والرضوان الإلهي،

١. الحديد: ٧

ويحرموها من النعيم الأبدي الخالد في الجنة، فإن الله جل جلاله حينما يأمر بالإنفاق والجهاد لا يأمر بهما لينتفع هو بهما، فهو غني مطلق منزه عن جميع الحاجات، بل ينتفع بهما المنفق والمجاهد نفسه في دنياه وآخرته، فالعباد هم الفقراء إلى الله ذي الجلال والإكرام في وجودهم واستمرار بقائهم وفي صفاتهم وأفعالهم، وإلى ما عنده من الخير والنعمة والرحمة والثواب والوصول إلى كمالهم الإنساني المقدر لهم واللائق بهم معرفياً وتربوياً وحضارياً، وتحصيل السعادة الحقيقية الكاملة في الدارين الدنيا والآخرة، ولن يضروا الله شيئاً، ولن يوقفوا مسيرة الدين الإلهي الحق فإن الله ﷻ بالغ أمره لا محالة، وسيظهر دينه الحق على الدين كله ولو كره المشركون.

وفي الآية الشريفة المباركة حث شديد على الإنفاق والجهاد في سبيل الله ﷻ عن طيب نفس، لأن فيهما الخير والصلاح والمصلحة العليا للإنسان في الدارين الدنيا والآخرة، وفيها كذلك تحذير شديد اللهجة من ترك الإنفاق والجهاد في سبيل الله ﷻ ومن عواقبهما الوخيمة على الإنسان في الدارين الدنيا والآخرة.

ثم تشير الآية الشريفة المباركة إلى سنة الاستبدال التي تحمل التنبيه والتحذير إلى جميع الناس: المؤمنين وغير المؤمنين، فتقول لهم: إنكم أيها الناس، إن تُعرضوا عن الله ذي الجلال والإكرام، وتصروا على العناد والاستكبار والاستعلاء، وتنصرفوا عن الدين الإلهي الحق أو تقصروا في تحمل أعباء الرسالة، وتمسكوا عن الإنفاق في أوجه الخير والصلاح، وتتركوا الجهاد في سبيل الله ﷻ، فإن الدين الإلهي الحق لن يضيع، ولن

يقطع ولن يمحي ويزول من الوجود؛ لأن الله ﷻ فرض على نفسه المقدسة إنزال الدين الحق لهداية الإنسان وضمن استمرار بقائه وإيصاله إلى كل من يطلبه، ويبحث عنه بصدق وموضوعية وإخلاص، بأن ضمن بقاء الكتاب وحفظه، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1].

وضمن وجود الحملة الأمناء على الدين الإلهي الحق وعلى الكتاب، في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إن الأرض لا تترك إلا بعالم يحتاج الناس إليه ولا يحتاج إلى الناس، يعلم الحرام والحلال»[2]، وضمن وجود المؤمنين المصدقين بالدين الإلهي وبإمام الحق والهدى، وبأن يهديهم الله تبارك وتعالى ويوفقهم للإيمان بالدين الإلهي الحق والعمل بمقتضاه واتباع إمام الحق والهدى وطاعته والاقتداء به، وللإنفاق والجهاد في سبيل الله ﷻ والتضحية بالأنفس والأموال والأولاد من أجل رضوان الله سبحانه وتعالى وثوابه، ويعملون له وحده، ولا يشركون به شيئاً، وقد فعل الله ﷻ بهم ذلك لما يتحلون به من الصدق والإخلاص في البحث عن الحقيقة والعمل بها، ومن طهارة النفس وسلامة النية وطيب الفطرة، فيكونون مكانكم في اتباع الدين الحق والعمل به والحفظ له والتبليغ به ونشره والدعوة إلى إقامته وتطبيقه، ثم لا يكونون على مثل صفاتكم في ضعف الروح والإرادة والانصراف عن الدين الحق وترك العمل به وعدم الثبات عليه والبخل بالمال والأنفس والإمساك عن الإنفاق وترك الجهاد في سبيل الله ﷻ، بل يكونون خيراً منكم عقيدةً وخصالاً وعملاً، وأصوب منكم منطقاً، وأطوع منكم لله جل جلاله ولرسوله الكريم صلى الله عليه وآله ولأئمة

١. الحجر: ٩

٢. بحار الأنوار، جزء:٢٣، صفحة:١٥

الحق والهدى والدين، وأحرص منكم على الإيمان والدين الحق وعلى مصالح المؤمنين والعباد أجمعين، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1]، وليس ذلك الاستبدال على الله ﷻ بعزيز (ممتنع)، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[2]؛ أي أن من خلق الكون العظيم بمن فيه هو قادر كذلك على أن يهلك العصاة المعاندين متى شاء، ويأتي مكانهم بخلق جديد يطيعه فيما يأمر به وينهى عنه؛ لأنه قادر بالذات؛ أي: قادر مطلق لا اختصاص له بمقدور دون آخر، فإذا أخلص له الداعي إلى إيجاد شيء، وانتفى الصارف عنه بمقتضى الحكمة البالغة، أوجده من غير توقف أو تأخير، فإنّ أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، ولفظ (بالحق) في قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾[3] يدل على أن الخلق هو لغاية حقيقية راجحة ومطلوبة لديه لا عبثاً ولا لعباً ولا لهواً، وهذا يقتضي الإبقاء على الخلق ما دام سائراً في طريق الغاية، وإزالة كل مانع يمنع من حصول الغاية حتى وإن تطلب الأمر إهلاك بعض الأقوام أو الأمم المعاندين والمفسدين في الأرض ومحوهم من صفحة الوجود.

وفي الحديث الشريف سُئل الرسول الأعظم الأكرم ﷺ عن هؤلاء

١. المائدة: ٥٤

٢. إبراهيم: ٩

٣. إبراهيم: ١٩

القوم الذين ذكرهم الله تعالى في كتابة وكان سلمان الفارسي بجانبه، فضرب على فخذه وقال: «هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطاً بالثريا لتناوله رجال من فارس»[1].

ثانياً: قول الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾؛ أي: بعث الله تبارك وتعالى الأنبياء العظام، ونصب الأوصياء المطهرين عليهم السلام وأنزل عليهم الكتب السماوية؛ مثل: صحف إدريس، وكتاب نوح، وصحف إبراهيم، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وزبور داوود، وقرآن محمد صلوات الله تعالى عليه وعليهم أجمعين التي تشتمل على المعارف الإلهية الحقة، والشرائع السماوية السمحة، والأخلاق الحميدة الفاضلة، وسائر ما يحتاجه الناس من المعارف في حياتهم، وذلك عن طريق الوحي، وألهمهم الحكمة والعلم اليقين التام الذي لا يتطرق إليه الشك أو الخطأ؛ لأنه بتعليم خاص من الله تبارك وتعالى، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[2]، وجعل لهم الإحاطة الشاملة التامة بحقائق الكتاب والوحي وأسرارهما، وجعل لهم الحكم النافذ والقضاء العادل بين الناس فيما اختلفوا فيه طبقاً لما في الكتاب، وأوجب على الناس الإيمان بهم والرجوع إليهم وتصديقهم وطاعتهم فيما يأمرون به وينهون عنه والأخذ منهم، ولفظ (أولئك) في قوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾[3] يدل على عظيم شأنهم وعلو مقامهم ورفعة درجتهم

١. سنن الترمذي، جزء:٥، صفحة:٣٨٣، حديث:٣٢٦٠

٢. الكهف: ٦٥

٣. الأنعام: ٨٩

ومرتبتهم عند الله جل جلاله، ولا شك فإن من اتصف بالهداية الربانية واصطفاه الله تبارك وتعالى لمقام النبوة والرسالة والإمامة وهداية الناس، لابد أن يكون ذا شأن عظيم ومقام رفيع ودرجة عالية في نفسه وعند رب العالمين.

ثم تشير الآية الشريفة المباركة إلى سنة الاستبدال فتقول: <فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ>؛ أي: فإن يكفر قومك المعاندون أو غيرهم بهذه الحقائق الإلهية الثابتة: الهداية والنبوة والرسالة والإمامة والكتاب والشريعة وما فرض الله ﷻ للأنبياء والأوصياء عليهم السلام من الاتباع والاقتداء والطاعة في الحكم والقضاء وسائر الواجبات التي هي من مقومات الدين الإلهي الحق والهداية الربانية للإنسان التي أمر الله سبحانه وتعالى العباد الإيمان بها واتباعها، فإن دعوة التوحيد والإسلام الحنيف، لن تتوقف ولن تضيع ولن تُمحى من الوجود، ولن تبقى بدون استجابة واتباع وتحمل وقيام؛ لأن الله ﷻ سيبعث أناساً من عباده الصالحين، الذين يتحلون بالصدق والإخلاص في نياتهم وأقوالهم وأفعالهم، والثابتين على الحق والصدق، ويوفقهم لقبول الدين الإلهي الحق والإيمان به والحفاظ عليه والعمل بمقتضاه وبما أنزل الله تبارك وتعالى في كتابه وبما جاء به الأنبياء والأوصياء عليهم السلام من عنده.

وفي ذلك تسلية من الله ﷻ للرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله على إعراض بعض قومهم وعنادهم، وتقصير بعض أصحابه في تحمل أعباء الرسالة وإمساكهم عن الإنفاق وتركهم الجهاد في سبيل الله ﷻ ونحو ذلك، وطمأنته ببقاء الرسالة وحفظها حتى يظهرها الله ﷻ على الدين كله في

آخر المطاف ونهاية المسيرة التاريخية التكاملية للإنسان.

ولفظ (وكلنا) في قوله: <فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا>[1] يدل على أن أولئك القوم الأبدال هم قوم وفقهم الله تبارك وتعالى للإيمان حتى كأنهم خلقوا له وخلق لهم، وأن الله تبارك وتعالى قد زادهم من ألطافه ورحمته، وعهد إليهم القيام بأعباء الرسالة ومراعاتها والحفاظ عليها وأداء حقوقها، وما يلزم عليهم نحوها، تماماً كما يوكل الإنسان بالشيء ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه، والوكالة تقتضي حتماً وجود الشيء الموكل به بيد الوكيل وهو مطالب بحفظه وتعهده ورعايته وأداء حقه عليه.

وعبارة: ﴿لِّيَسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾[2] تدل على مسارعة الأبدال للإيمان وثباتهم عليه والعمل بمقتضاه بصدق وإخلاص نية، وعدم التفريط في شيء من الواجبات، والتفكير في لفظ (قوماً) في قوله: ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا﴾ يدل على شرفهم وعلو منزلتهم وأن لهم دوراً كبيراً وخطراً عظيماً في التاريخ والمسيرة البشرية التكاملية المباركة.

نتائج مهمة

نتوصل مما سبق إلى النتائج المهمة التالية:

ليس لأحد أن يمن إيمانه على الله سبحانه وتعالى أو على الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله أو يمن بإنفاقه أو جهاده عليهما، بل لله عز وجل المنة على الجميع وأن هداهم للإيمان ووفقهم للإنفاق والجهاد في سبيل

١. نفس المصدر

٢. نفس المصدر

الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[1].

أن لا يخاف المؤمن على ضياع الدين؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو القائم على الدين والحافظ له حقيقةً وصدقاً، بل يجب على الإنسان المؤمن أن يخاف على نفسه من أن يحرم شرف الإيمان وتحمل أعباء الرسالة والإنفاق والجهاد في سبيل الله ﷻ، فيستبدل الله ﷻ به من هم خير منه في العقيدة والأخلاق والعمل والنية الصادقة، وعليه: جاء في الدعاء عن الإمام الرضا عليه السلام قوله: «واجعلنا ممن ينتصر به لدينك وتعز به نصر وليك ولا تستبدل بنا غيرنا، فإن استبدالك بنا غيرنا عليك يسير وهو علينا كثير»[2]، ومثله للإمام الصادق عليه السلام في أدعية شهر رمضان المبارك.

إن الإنفاق والجهاد سبيل إلى صلاح المجتمع وأمنه واستقراره؛ الداخلي والخارجي، وإلى عزة الأمة وكرامتها ورفعتها ورقيها، وإن فرضهما على العباد من النعم الإلهية العظيمة على الناس التي يجب إكبارها وشكرها وأداء حقها والعمل والتمسك بها والثبات عليها، وإن البخل بالمال والأنفس والإمساك عن الإنفاق والجهاد في سبيل الله ﷻ، من الصفات السيئة والخصال المذمومة التي ينبغي للمؤمن بما هو مؤمن أن يتنزه عنها، ويتطهر من رجسها، وهي تدل على ظلمة النفس وتعلق القلب الشديد بعالم الدنيا والمادة والمصالح، والتحلي بالأنانية وضعف الإيمان واليقين والإرادة وضعف الثقة بالله ﷻ، وإهمال القيم

١. الحجرات: ١٧

٢. دعاء لصاحب الأمر، مفاتيح الجنان

الروحية والمعنوية والمبادئ الإنسانية السامية، فيجب على الإنسان المؤمن الحذر الشديد من البخل والإمساك عن الإنفاق وترك الجهاد في سبيل الله ﷻ، وأن يجاهد نفسه ويستفرغ طاقته ووسعه للقيام بهما خير قيام وبطيب نفس وقناعة تامة.

حقائق قرآنية ثابتة

تجدر الإشارة هنا إلى بعض الحقائق القرآنية الثابتة المهمة ذات الصلة بالموضوع، وهي:

إن لفظ (القوم) في قوله: ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْماً﴾[1] وقوله: <وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا>[2] يدل على أن إحداث التغيرات والإصلاحات الجوهرية في المجتمعات البشرية وحمل الرسالات لا يقوم به الأفراد متفرقين، بل يقوم به الأفراد مجتمعين متحدين في جماعات على أهداف معينة ومحددة تحديداً دقيقاً وواضحاً، وأن يكونوا منظمين ومنتظمين ومنضبطين، وأن يقدموا مصلحة العمل الجماعي المشترك ومتطلباته ومقتضياته على مصلحة أنفسهم وآرائهم الشخصية، وأن يخضعوا لقيادات موحدة، ويلتزموا بطاعتها وبتوجيهاتها في العمل، وأن يحذروا من الخضوع للمصالح والأهواء والرغبات والآراء الشخصية والانجراف وراء الأفراد الشاردين والواردين الذين في كل وادٍ وعلى كل وجه يهيمون، فيضعفوا بذلك العمل الجماعي والقيادات الواعية؛ أي: يجب تفضيل وتعزيز العمل الجماعي في مقابل الأعمال الفردية، وهذا بدون شك يحتاج إلى بصيرة

١. محمد: ٣٨

٢. الأنعام: ٨٩

ووضوح رؤية وقوة إرادة ورسوخ روح الإيثار والصدق والإخلاص في النفس، وتقابله الأنانية والضياع والأثرة وحب الذات ونحو ذلك.

إن المعجزات الإلهية تنقسم إلى قسمين وهما:

معجزات الفتح: وهي المعجزات التي يأتي بها الأنبياء الكرام عليهم السلام لإثبات صدق نبوتهم ورسالتهم؛ مثل: القرآن الكريم، وعصا موسى وناقة صالح ونحوها.

معجزات البقاء الاستمرار: وهي المعجزات التي تضمن بقاء الرسالة واستمرارها؛ مثل: طوفان نوح، ونجاة إبراهيم من الحرق، وفلق البحر لموسى عليه السلام وبني إسرائيل، وهلاك عاد وثمود، وقوم لوط وقوم شعيب، وانتصار المسلمين في معركة بدر، ونجاة الإمام علي بن أبي طالب من القتل في زمن النبي صلى الله عليه وآله، ونجاة الإمام زين العابدين عليه السلام من القتل في كربلاء ونحو ذلك، لأنه على هذه المعجزات يتوقف بقاء الدين الحق في الدورة الرسالية المقررة له، وهي من مقتضيات سنة الاستبدال، يقول الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله في دعائه في يوم بدر قبل بدء المعركة: «اللهم انجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد بعد في الأرض أبداً».

يوجد في كل زمان أحد المعصومين العظام عليهم السلام يكلف بالهداية الإلهية والدعوة إلى الدين الإلهي الحق والصراط المستقيم والنهج القويم والطريقة الوسطى، تجب على الناس معرفته وطاعته والرجوع إليه في أمور الدين والدنيا والاقتداء به، وفي الحديث النبوي الشريف:

«من مات وهو لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية»[1]، وبوجوده يحفظ الله ﷻ دينه من الزوال والضياع ويقيم الحجة التامة على عبادة، وإلى جانبه يوجد قوم من المؤمنين يتابعونه ويقتدون به، وقد اعتصموا بالتقوى والصلاح والاستقامة، مطيعون لله سبحانه وتعالى وللرسول الأعظم ﷺ ولأئمة الحق والهدى والدين، وقد خرجوا تماماً من ولاية الطاغوت والشيطان الرجيم، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2]، ويتحملون أعباء الرسالة السماوية، ويبذلون في سبيلها النفس والنفيس، وهم إلى جانب الإمام المعصوم من ضمانات بقاء الرسالة واستمرارها ووصولها إلى من يطلبها ويبحث عنها بصدق وإخلاص، ووجودهم من مقتضيات سنة الاستبدال الإلهية.

التأسيس لمبدأ الحتميات التاريخية؛ مثل: حتمية ظهور الدين الإلهي الحق وانتصاره واستعلائه على كل دين في نهاية مطاف المسيرة التاريخية التكاملية للإنسان، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾[3]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[4].

---

١. كنز العمال، حديث: ٤٦٤

٢. البقرة: ٢٥٦

٣. الفتح: ٢٨

٤. التوبة: ١٢٣

صدر لدار الوفاء للثقافة والإعلام

سلسلة رجالٌ صدقوا:

١. هكذا عرفوه، الشهيد رضا الغسرة

٢. المؤمن الممهد، الشهيد علي المؤمن

٣. فخر الشهداء، الشهيد عبدالكريم فخراوي

٤. الخارجون من الماء، كمال السيّد، رواية أدبية حول حيار المحرر من السجون الخليفية محمد طوق

٥. القادم من هناك، كمال السيّد، رواية أدبية حول حياة الشهيد القائد رضا الغسرة

٦. ألم وأمل، السيد مرتضى السندي، تجربة واقعية في السجون الخليفية

سلسلة نهج الولاية:

١. العمل المؤسساتي في فكر الإمام الخامنئي

٢. االاستغفار والتوبة، الإمام الخامنئي

٣. التحليل السياسي في فكر الإمام الخامنئي

٤. العبد الصالح، الإمام الخامنئي، رواية الإمام الخامنئي حول الإمام الخميني

٥. سيد شهداء محور المقاومة، قاسم سليماني

٦. عهد الأمير إلى المسؤول والمدير، شرح رسالة الإمام علي لمالك الأشتر، الإمام الخامنئي

٧. النفوذ في فكر الإمام الخامنئي

٨. الحياة بأسلوب جهادي، الإمام الخامنئي

سلسلة من داخل السجن:

١. التغيير في سبيل الله، الشيخ زهير عاشور

٢. تأملات في الفكر السياسي، الشيخ زهير عاشور

٣. الإسلام والعلمانية، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين

٤. الرحيل نحو الأبدية، الساعات الأخيرة للشهيد علي العرب قبل إعدامه، كمال السيّد

٥. يسألونك عن عاشوراء، الأستاذ محمد فخراوي

٦. رسول الرحمة، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين

٧. على ضفاف الحسين، الأستاذ محمد سرحان

٨. نشيد الشهادة، شرح وصية الشهيد القائد قاسم سليماني، الأستاذ محمد سرحان

٩. ماضون على دربك، قصص أسرى البحرين بعد استقبال خبر شهادة القائد قاسم سليماني

١٠. مرج البحرين يلتقيان، حياة الإمام علي وفاطمة الزهراء، الأستاذ محمد فخراوي

١١. خط الإمام الخميني، الشيخ جاسم المحروس

١٢. الإسلام دين الفطرة، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين

١٣. شقشقة المظلوم، شرح الخطبة الشقشقية لأمير المؤمنين (ع)، الشيخ زهير عاشور

١٤. إلى أحبتي، نصائح تربوية إلى الشباب، الشيخ زهير عاشور

١٥. وذكرهم بأيام الله، شذرات من فكر الإسلام المحمدي الأصيل، الأستاذ محمد سرحان

١٦. اللامنطق في الفكر والسلوك (مجلدين)، مواجهة النبي موسى لفرعون، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين

١٧. رحيق كربلاء، الشيخ زهير عاشور
١٨. معرفة النفس طريق لمعرفة الرب، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين
١٩. شمعة في وسط الظلام، الشيخ زهير عاشور
٢٠. إضاءات فكرية، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين

سلسلة تاريخ البحرين:

١. آل خليفة الأصول والتاريخ الأسود
٢. شهادة وطن، إفادات قادة الثورة المعتقلين وعذاباتهم
٣. الإبادة الثقافية في البحرين
٤. تيار الوفاء الإسلامي، المنهج الرؤية الطموح

كتب أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين:

١. إضاءات فكرية
٢. معرفة النفس طريق لمعرفة الرب
٣. اللامنطق في الفكر والسلوك، مواجهة النبي موسى لفرعون
٤. الإسلام دين الفطرة
٥. رسول الرحمة
٦. الإسلام والعلمانية
٧. الجمري في كلمات أمينه وخليله
٨. القدس صرخة حق
٩. إضاءات على درب سيد الشهداء (ع)
١٠. قراءة في بيانات ثورة الإمام الحسين (ع)

١١. الدولة والحكومة
١٢. الإنسان رؤية قرآنية - الجزء الثاني
١٣. الإنسان رؤية قرآنية - الجزء الأول
١٤. في رحاب أهل البيت عليهم السلام
١٥. الشهادة رحلة العشق الإلهي

كتب أخرى:

١. قافلة الخلود - شهداء البحرين
٢. عاشوراء البحرين ٢٠١٩
٣. كتيّب المقاوم العارف، الشهيد المقاوم أحمد الملالي
٤. عاشوراء البحرين ٢٠١٨
٥. حصاد البحرين ٢٠١٧
٦. عاشوراء البحرين ٢٠١٧
٧. في رحاب مدرسة الإمام الخميني
٨. المهدوية في الفكر الولائي
٩. الحصاد السياسي ٢٠١٦

كتب باللغة الفارسية:

١. تغيير در راه خدا (التغيير في سبيل الله)، الشيخ زهير عاشور
٢. بازخوانى خطبه هاى امام حسين (قراءة في بيانات ثورة الإمام الحسين)، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين
٣. بر آستان اهل بيت (في رحاب أهل البيت)، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين

٤. رنج و اميد (ألم وأمل)، السيد مرتضى السندي
٥. گواه ميهن (شهادة وطن)، إفادات قادة الثورة المعتقلين وعذاباتهم
٦. تاريخ سياه آل خليفة (آل خليفة الأصول والتاريخ الأسود)
٧. بت شكن (رواية الخارجون من الماء)، كمال السيّد

إن الإيمان لا يكون مصحوباً دائماً بالعمل بمقتضاه، فقد يكون الإنسان مؤمناً بقلبه، ولكنه يعصى الله عز وجل فيما يأمر به وينهى عنه، ولا يراعي محارمه ومقدساته، ويسمى صاحب هذا الحال فاسقاً.

الموقع الرسمي

دار الوفاء للثقافة والإعلام